في رحاب الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام

الشيخ فوزي آل سيف

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة

والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين

بين يدي القارئ والقارئة

قبل أحد عشر عاما صدر كتاب (رجال حول أهل البيت)، وبعده بثمانية أعوام صدر كتاب (نساء حول أهل البيت)، وعندما أريد إعادة طباعة الكتابين رأى بعض الإخوة تجزئة هذين الكتابين بحيث يصدر كتيب حول كل معصوم، وأصحابه (رجالا ونساء)، فكان هذا الذي بين يديك، وهو يحقق عدة أمور، منها سهولة تداول كل قسم من أقسامه، بخلاف ما إذا كان أربعة مجلدات كبيرة، ومنها أن الفئة المخاطبة به هي الفئة الشابة وهم يقبلون على الكتاب الصغير حجما، أكثر من إقبالهم على كبير الحجم، ومنها أنه من خلال هذا الجمع سيتم الإحاطة بحياة المعصوم من جهات متعددة.. لكل هذه الأمور، تم تنسيق الكتابين بهذا النحو.

وها هي بين يديك إضمامة عطر من بستان رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبنائه الطاهرين عليهم السلام تحتوي على حياة خمسة من الرجال الرساليين، وخمس من المؤمنات القانتات.

موجز عن حياة الإمام محمد بن علي

أبو جعفر (الثاني)الجواد عليه السلام

١٩٥ ـ ٢٢٥هـ

ولد الإمام الجواد عليه السلام عام ١٩٥ هـ وتوفي عام ٢٢٥ وعمره ثلاثون عاما ومدة إمامته اثنان وعشرون عاما.

كان مجيء (المولود المبارك) كما عبر عنه أبوه الإمام الرضا عليه السلام، قاطعاً لموجة من التساؤل بل التشكيك عند بعض الشيعة إذ أن الإمام الرضا لم يولد له إلا في السنوات الأخيرة من عمره، وكان هذا الأمر يبعث على التساؤل انه من سيكون الإمام بعد الرضا؟! وقد حمل الواقفية لواء التشكيك في إمامة الرضا وأنه لم يولد له ولد، ولا تجتمع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين.. فكانت ولادة الإمام الجواد، ضربة لمحاولات التشكيك تلك.

تولى الإمامة وعمره ثمان سنوات.. وكان طبيعيا أن يثير ذلك التساؤل والاستغراب لدى الكثيرين، إلاّ أن ذلك كان يرفعه الإمام الرضا عليه السلام بقوله للسائلين: إن عيسى ابن مريم قام بالحجة والنبوة وهو طفل، مع أنه صاحب شريعة مستأنفة والإمام الجواد وصي لشريعة قائمة.. وأن الإمامة لو كانت من شؤون البشر في تعيين الإمام لكان الاستغراب في محله، إذ أن شخصاً في مثل هذا السن لم تتح له فرصة التعلم والتفقه والتدريب، فكيف يكون إماماً؟! لكن لما كانت الإمامة شأنا إلهياً، وعلم الإمام لم يكن بالتعلم المتعارف لا في مقداره ولا في كيفيته. فإن هذا الاستغراب يرتفع من رأسك، وقد جرب الأصحاب المنافسون والأعداء مقدار علمهم إلى جنب علم الإمام الجواد وهو في سن الثامنة من العمر فوجدوا أنفسهم غرقى في بحر علمه الطامي، وحاول العباسيون إحراجه بمسائل صعبة يعدها قاضي القضاة يحيى بن أكثم، فوجد نفسه في حضرة الإمام الجواد تلميذاً صغيراً لا حول له ولا طول.

زوجه المأمون ابنته أم الفضل، ربما لكي يدرأ عن نفسه تهمة قتل الرضا عليه السلام كما يحتمل بعض المؤرخين وبقي في المدينة ينشر العلم والمعارف ا لإلهية..

بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨ هـ، وكان المأمون يحاول أن يظهر بمظهر من يود أهل البيت ولعب في ذلك دورا معقداً خفي على الكثير من المؤرخين، ومن وراء ذلك المظهر كان يدعم سلطانه ولو جره إلى قتل أئمة أهل البيت..

بعد وفاته ومجيء المعتصم العباسي، وكان هذا لا يخفي كراهيته لأهل البيت وأتباعهم فاستدعى الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد، واتفق مع زوجته أم الفضل بنت المأمون، وكانت تحقد على الإمام الجواد عليه السلام لتفضيله أم الإمام الهادي عليها، لكي تسمه وفعلاً فقد تم للمعتصم ما أراد، وسم الإمام الجواد عليه السلام في عام ٢٢٥ هـ كما ذكرت بعض الروايات التاريخية ذلك، وتوفي ببغداد ودفن فيها.

رجال حول الإمام الجواد عليه السلام

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت

توفي سنة ٢٤٤ هـ

«إن قنبراً خادم أمير المؤمنين أحب إلي منهما (المعتز والمؤيد)..»

ابن السكيت للمتوكل

في جنوب إيران، في الأهواز، وفي منطقة (الدورة) كانت البداية عندما ولد يعقوب بن إسحاق، الملقب (بالسكيت) لكثرة صمته وقلة حديثه.

في تلك المنطقة المعروفة منذ القدم بولائها لأهل البيت عليهم السلام نشأ وترعرع قبل أن ينتقل إلى بغداد وسرعان ما برز في معرفته باللغة العربية مما لفت الأنظار إليه.

لقد كان يحمل بين جنبيه نفساً طموحة تتمرّد على عوائق الزمان والمكان في سبيل العلم والمعرفة، ساعده على ذلك

انتماؤه لمدرسة أهل البيت عليهم السلام تلك التي تبعث في أتباعها شعوراً بضرورة (التميز) والتصاعد كان يسمع من أئمة أهل البيت عليهم السلام: «إن أصحابي أولي النهي (العقل) والتقى فمن لم يكن من أهل النهي والتقى فليس من أصحابي»، ويسمع عن الصادق عليه السلام: «ليس من شيعتنا من يكون في مصر فيه آلاف ويكون في المصر أورع منه»، وعنه عليه السلام: «إن شيعتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم إن كان فقيه كان منهم وإن كان مؤذن فهو منهم وإن كان إمام كان منهم وإن كان صاحب أمانة كان منهم»[١].

وكانت هذه الأحاديث تضرب على الوتر الحساس في نفسه فهو يجد نفسه مؤهلاً لأن يكون مصداقاً لها.

كما أن صحبته للإمامين الجواد والهادي عليهما السلام قد ساهمت بشكل مؤثر في صياغة شخصيته العلمية كونه قريباً من المنبع الصافي للمعرفة، المتصل بالوحي ذلك أنه أصبح (مقدما عند

---

(١) بحار الأنوار / ٦٨.

أبي جعفر الثاني (الجواد) وأبي الحسن عليه السلام وكانا يختصانه وله عن أبي جعفر رواية ومسائل)[١]

ولما يتميز به من معرفة عميقة بقواعد اللغة والأدب، استدعاه المتوكل العباسي لكي يؤدّب أولاده.. وهكذا كان.. إلا أن طبيعتي الشخصين كان لا بد أن تصطدما يوماً ما، ذلك أن المتوكل الذي اختصر كل الحقد الأموي والعباسي على أمير المؤمنين علي عليه السلام وركزه في شخصيته، لم يكن لينسجم مع يعقوب بن السكيت الموالي لأمير المؤمنين وأولاده، والملتزم بنهجهم.

وكانت الأيام بانتظار ساعة الصفر، لتشهد ذلك الصدام.. وكان ذلك اليوم الذي سجل فيه ابن السكيت خلودَه، وعارَ المتوكل. فقد كان جالسا ومعه المتوكل فيما كان ابنا المتوكل (المعتز والمؤيد) يدخلان عليه، سأل المتوكل ابن السكيت:

---

(١) تنقيح المقال ٣/ ٣٢٩.

ـ يا يعقوب: أيهما أحب إليك.. ابناي هذان أم الحسن والحسين؟!.

بالطبع كان المتوكل العباسي يتوقع من ابن السكيت أن يجيب بذكر (فضائل) المعتز والمؤيد، مرجحاً إياهما على سبطي رسول الله. ذلك أن الخلفاء يسكرون بخمر المدح الكاذب، ويرتبون عليه الآثار، فإذا سمع الخليفة شاعراً يقول:

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا

لما بديت من الصفوف وكبروا!!

فإنه يصدق ذلك مع أنه يذكر بطلعته المسطولين والمخمورين!!.

هذا إضافة إلى أنهم تعودوا أن يسمعوا من حواشيهم والوافدين عليهم كلاماً يوافق هواهم، فلا يتوقعون أن يوجد كلام غيره!!.

ولم يكن ابن السكيت غافلاً عن هذه الأمور، كيف؟!

وهو ابن الخامسة والخمسين الذي جرب الحياة وعرف أخلاق أهلها، إلا أنه هنا وقف بـ (كلمة حق عند إمام جائر..) وقال:

ـ إن قنبر خادم أمير المؤمنين عليه السلام خير منهما ومن أبيهما.

لم تكن هذه الكلمة عثرة لسان أودت بحياته، وهو القائل:

يموت الفتى من عثرة لسانه

وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته في القول تذهب رأسه

وعثرته في الرجل تبرأ عن مهل

لقد كان يفكر في (موقف) ينتخبه بإرادته، وينتصر فيه لدينه وعقيدته، كان يعرف كثيراً من أحاديث (السلامة) والنجاة بالنفس، وكغيره فإن نفسه تنازعه على البقاء فماذا يضرّه أن يقول إن ابني المتوكل أفضل من الحسنين وأبيهما وجدهما؟! خصوصاً إذا كان الثمن تخليص نفسه؟!.

لكنــه تلميــذ مدرســة الأئمــة عليهم السلام، ووارث تــضحيات الثائرين لم يشأ لنفسه أن يـسمع (لغـو) الباطـل، وأن يمـضيه، عوض إسماع صوت الحق والعلم، فيخالف ذلك مـا أخـذ الله على العلماء، من ميثاق العلم (لتبيننَّه للناس ولا تكتمونه). لقد حسب كل حساباته، ووضـع الاحـتمالات أمـام عينيـه وأولهـا الموت.. وأطلق قذيفته تلك..

ما إن سمع المتوكل العباسي جوابه حتى اسودت الـدنيا في عينيه وصاح بغلمانه من الأتراك ليدوسوا في بطنه حتى قتلوه.

وبذلك خـتم يعقـوب بـن إسـحاق بـن الـسكيت خمـساً وخمسين عاماً مترعة بالعلم والمعرفة ختمهـا بالـشهادة بعـد أن خاض (أفضل الجهاد).

لم يكن فقط هذا الموقـف باعـث تخليـده وإن كـان بـذلك جديراً فما أفضل أن ينهي المرء عمره بموقف شـجاع، فإضـافة إلى ذلك كـان في حياتـه (وجهـاً في علـم العربيـة واللغـة، ثقـة مصدقاً لا يطعن عليه).

وقال أبو الطيب في مراتب النحويين: «انتهى علم الكوفيين إلى أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب وكانا ثقتين أمينين ويعقوب أسبق وأقدم وأحسن الرجلين تأليفاً وثعلب أعلمهما بالنحو».

وقال أبو العباس ثعلب: «أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت»[1].

وإذا كانت آثار المرء هي حياته الممتدة وذكره هو الباقي، بعد انقضاء مدته، فإننا نجد أن ابن السكيت قد امتدّ بحياته في بعدي الجهاد والعلم بينما أصبح المتوكل قاتله لعنة، فإذا بملوية سامراء إن حكت فإنما تفصح عن حكاية الظلم، وإذا بقيت أطلال قصر (الجعفري) وقد أنفق على بنائه مليوني دينار أو (البرج) وقد تكلف مليون وسبعمائة ألف دينار أو (الملج) وقد صرف عليه خمسة ملايين درهم و (الشبندار) و (المختار) و

(١) تأسيس الشيعة/ ١٥٦.

(الغرو) و (بركوار)[1] وغيرها، فإنما لكي تبقى وصمة عار ولعنة تاريخ، وعلامة انهيار، وإسفاف في كيفية تبذير هؤلاء الحكام لأموال المسلمين.

وفي المقابل بقيت آثار ابن السكيت، ذكراً عاطراً تلهج به الألسن وسيرة حسنة تملأ الأسماع، ومواقف شجاعة تحيى القلوب. وفوق كل ذلك مآثر من العلم والمعرفة، فقد خلف ابن السكيت وراءه من الكتب، التالية أسماؤها:

ـ كتاب إصلاح المنطق وقد قال عنه أبو العباس المبرد: ما عبر على جسر بغداد كتاب في الفقه مثل إصلاح المنطق، ولم أرَ ببغداد كتابا خيراً منه.

ـ وكتاب الألفاظ، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، وكتاب الأضداد وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب ا لأضداد.

---

(١) حياة الإمام الهادي للقرشي/ ٣١٤.

ـ وكتاب ما فيه صنعة من شعر الشعراء (امرئ القيس ـ زهير ـ النابغة ـ الأعشى ـ أبي داود ـ بشير بن أبي حازم ـ أوس بن حجر ـ علقمة الفحل ـ طرفة ـ عنترة ـ عمرو بن كلثوم ـ الفرزدق ـ الأخطل ـ جرير..).

ـ وكتاب الطير ـ وكتاب النبات ـ وكتاب الوحش ـ وكتاب الأرضين ـ الجبال والأودية ـ وكتاب الأصوات ـ وكتاب الشجر والغابات ـ و كتاب الحشرات ـ وكتاب الإبل.

ويظهر من عناوين هذه الكتب، طابع الموسوعية التي كان يتميز به ابن السكيت فالقسم الأول، كما هو واضح يرتبط بقواعد اللغة العربية، أما القسم الثاني فيرتبط بالشعر والأدب العربي، بينما يبحث القسم الثالث من كتبه علم الطبيعيات.

علي بن مهزيار الأهوازي

توفي سنة ٢٥٠هـ

لا يتذكر علي بن مهزيار من ماضيه إلاّ القليل.. فغير ذلك القليل لا يستحق كثير اهتمام.

لقد عاش في وسط عائلة مسيحية متدينة، ولما كان أبوه يفتش دائماً عن المعرفة، فقد هداه الله إلى الإسلام.. وتحوّلت العائلة كلّها، وعلي لا يزال صغير السن.

شبّ علي كما يشب غيره، وطوى من عمره سنيناً كما يفعل غيره، وكل ذلك لا يحظى عنده بكثير اهتمام، إنما لحظة التحول، وبوابة الصعود الأكبر.. يتذكرها دائماً بحمد الله، ويدعو بالخير لصانع هذا التحول في نفسه، وحياته.

نعم.. تلك اللحظة التي التقى فيها الحسين بن سعيد الأهوازي به وعقد معه علاقة مودة وصداقة، انتهت إلى أن أصبح علي جزء من اهتمام الحسين بن سعيد.

طالما أثار الحسين في نفس ابن مهزيار الإعجاب والإكبار.. هذا العالم الواعي، الذي تراه والحيوية تنبعث من أعطافه، ودفء الإيمان، ودماثة الأخلاق.. لا يهدأ، فكأنه خلق من طينة الحركة، ولا يكل، وتجد الجواب عنده ـ عادة ـ على مختلف المسائل.

وذات يوم.. يلتقي الحسين به ويتحدث.. لله دره.. ما أعذب حديثه، تمر الساعات سريعة دون أن يشعر بها مستمعه، يتلو اللقاء آخر وثالث، وهكذا وعلي بن مهزيار يتتلمذ على يد الحسين بن سعيد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وبحجم التحول الذي حدث في حياة عائلته عندما تعرفت على الإسلام، يحدث في قلبه وشخصيته عندما يتعرف على منهج أهل البيت عليهم السلام.. بينما كان كل شيء في حياته عديم الأهمية، أصبحت كل لحظة من أوقاته ذات أهمية قصوى، كان يعيش لذاته، فأصبح يحيا لهدفه..

من هناك بدأ حياته الحقيقية..

لم يكن علي بن مهزيار وحده في هذا الطريق، فهذا (المعلـم الرسالي)، يتحرك في كل ناحية من نواحي الأهـواز وقـصباتها، ليملأها وعياً وعلماً ومعرفة، بيـنما يمـلأ (سـلاطين الإسـلام) الأرض فضائح و مخازي. بالرغم من أنه ـ وهو الكوفي مولداً ـ يعد غريباً في منطق الحياة العاديـة والمفـروض (يـا غريـب كـن أديباً)، إلاّ أن الحسين بـن سـعيد التلميـذ النجيـب في مدرسـة الإمام الرضاعليه السلام، كان قد طوى منذ زمـن بعيـد أمثـال هـذه الأفكار.. لذلك كان يتحرك بفاعلية كبرى في هذه المنطقة.

وهذا التحـرك الـذي كـان يقـوم بـه الحـسين بـن سـعيد استقطب إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام عدداً كبيراً مـن النـاس، من بينهم كان علي بن مهزيار و اسحاق بـن إبـراهيم الحـضيني وعبد الله بن محمد الحضيني.

وتأهل عـلي بعـد مـشوار طويـل مـن التربيـة والإعـداد، النفـسي والـديني والثقـافي، للقـاء الإمـام عـلي بـن موسـى الرضاعليه السلام، وكان الوسيط في ذلك اللقـاء أيـضاً الحـسين بـن سعيد.



ليس الخبر كالعيان..

ومهما قيل، وكتب، ونقل في تفاصيل شخصية الإمام، وموقع الإمامة، فلن يكون ذلك كله كعيان ساعة من الزمان، ولقاء حين مع ولي الله، والحجة على خلقه يكشف أمام المرء عوالم كثيرة من المجهول.. هذا ما كان يفكر فيه علي بن مهزيار، وقد جلس بكل أدب وتواضع أمام الإمام الرضا عليه السلام..

كانت حقيقة الوضع السياسي حينها خافية على الكثيرين، ذلك أن المأمون العباسي، الذي كان يظهر التقرب لأهل البيت عليهم السلام، وقد خرج لتوّه من صراع مرير مع أخيه الأمين، الذي علق رأسه على بوابة بغداد بعد دخول طاهر بن الحسين الخزاعي قائد جيوش المأمون، وكان المأمون بحاجة ماسة إلى غطاء من الشرعية، يمكنه من البقاء في الحكم، ذلك أنه كان يفتقد إلى الميزات والقيم التي تعتبر حاكمة في خط الخلافة، فهو ابن أمة فارسية بينما كان أخوه الأمين ابن حرة عربية، إضافة إلى كونه ـ في النتيجة ـ قد قتل أخاه الأمين.

وضرب المـأمون (ضربـة معلـم) بأخـذه البيعـة للإمـام الرضاعليه السلام بولاية العهـد فقـد حقـق عـدة أهـداف في وقـت واحد، بينما سكر غير الواعين بخمر الوهم في عودة الخلافة إلى موقعها الطبيعي، وثملوا بكأس حسن حـال المـأمون، وفـيما لم يكتم هؤلاء سرورهم بما حصل، لم يخف الإمام الرضا أن (هذا الأمر لا يـتم) وكـان يوضـح لخـيرة أصـحابه الأهـداف التـي يتوخاها المأمون من خطوته تلك.

فهو إلى جانب وضع الإمام تحت المراقبة الدائمة، باعتبـار كونه ولياً للعهد، وبالتالي فهـو غـير بعيـد عـن الجهـاز الحـاكم والبلاط، وبقدر ما يكون في البلاط العباسي يبتعد عن قواعـده وأنصاره، بل تشوه في هـذه الأثنـاء سـمعته بـين النـاس فهـذا الإمام الذي كان يظهر منه الزهد في أمور الـدنيا ـ كآبائـه ـ لمـا كانت غير متيسرة له، هاهو ينقض عليها مقتنصاً إياها، بعـد أن أقبلت عليه!!.

كما أنه بتعيينه الإمام لولاية العهد استطاع أن يطفـىء نـار

الثورات العلوية إلى حينٍ. واهم من كل ذلك، أنه بذلك يحصل على اعتراف من العلويين بشرعية الخلافة العباسية، الأمر الذي لم يكن يطمع فيه أحد من أسلافه.

كل هذه القضايا، وسواها، علمها علي بن مهزيار وبالرغم من أن مدة مكثه لدى الإمام الرضا لم تكن طويلة، إلاّ أنه فتح له من ذلك اللقاء أبواب من العلم والمعرفة.

❁❁❁

اللقاء الأطول والصحبة الكبرى كانت مع الإمام الجواد عليه السلام، ابن الرضا قد سمع منه وروى الكثير عنه، وصعد في سلم درجات الإيمان، والولاء حتى تأهل لكي يكون في مقام عبد الله بن جندب البجلي..

ولأن هذا التجمع ملاكه التقوى والكفاءة، وقيم التفاضل فيه هي هذه القيم، لذلك من يوفرها في نفسه. فإنه يتقدم، سواء كان كوفياً عربياً، أو مولى أعجمياً، إذ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وهو بهذا يختلف عن سواه من التجمعات التي ترى النسب هو المعيار الأول، أو الثروة أو غيرها، فنحن نلتقي مع نماذج في تاريخ الإسلام رفعهم سعيهم وجدهم وعصاميتهم إلى درجات عالية، بينما بقي آخرون اعتمدوا على سمعه العائلة، أو شرف الأسرة.

يصبح سلمان (الفارسي ـ المجوسي سابقاً) «منّا أهل البيت» بينما يحجز غيره من العرب الأقحاح والقرشيين أماكنهم في قائمة المنافقين. ولقد أدرك علي بن مهزيار هذه المعادلة بعمق فاستطاع أن يتحول إلى واحد من أفضل أصحاب الإمام، بل ربما يكون أفضلهم ولو تأملنا المسافة التي قطعها ابن مهزيار من كونه ابناً لرجل نصراني يسكن في إحدى قرى الأهواز بعيداً عن مراكز الإشعاع الفكري الإسلامي إلى أن أصبح وكيلاً يخاطبه الإمام الجواد بأنه (لم يرَ أفضل منه).. إنها لمسافة كبيرة حقّاً. ولأنه يرى أن مشكلة الأمة هي فقدان الوعي الديني والمعرفة الدقيقة بالإسلام، لذلك انشغل

بالكتابة في هذا الجانب، وقيل أنه ألّف اثنين وثلاثين كتابا هي التالية أسماؤها:

١. كتاب الوضوء.
٢. كتاب الصلاة.
٣. كتاب الزكاة.
٤. كتاب الصوم.
٥. كتاب الحج.
٦. كتاب الطلاق.
٧. كتاب الحدود.
٨. كتاب التفسير.
٩. كتاب الفضائل.
١٠. كتاب الرد على الغلاة.
١١. كتاب الدعاء.
١٢. كتاب المكاسب.

١٣. كتاب التجارات والإجارات.

١٤. كتاب المثالب.

١٥. كتاب الوصايا.

١٦. كتاب الخمس.

١٧. كتاب الشهادات.

١٨. كتاب المواريث.

١٩. كتاب التجمل والمروءة.

٢٠. كتاب العتق والتدبير.

٢١. كتاب المزار.

٢٢. كتاب الشهادات.

٢٣. كتاب فضائل المؤمنين وبرهم.

٢٤. كتاب الملاحم.

٢٥. كتاب التقية.

٢٦. كتاب الصيد والذبائح.

٢٧. كتاب الزهد.

٢٨. كتاب الأشربة.

٢٩. كتاب النذور والإيمان والكفارات.

٣٠. كتاب الحروف.

٣١. كتاب الغنائم.

٣٢. كتاب البشارات.

وتوكل للإمام الجواد محمد بن علي عليه السلام، وكان مرجع أتباع الإمام عليه السلام في كل قضاياهم وأمورهم، ونستطيع أن نعرف موقع ابن مهزيار في جهاز الإمام الجواد عليه السلام، وموقعه عندما نتأمل عبارات الرسالة الجوابية التي كتبها إليه الإمام ـ هذا مع عقيدتنا أن الإمام لا يتكلم إلاّ الحق ـ:

«يا علي أحسن الله جزاءك وأسكنك جنته ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة وحشرك معنا، يا علي قد بلوتك وخبرتك في النصيحة والطاعة والتوفير والقيام بما يجب عليك

فلو قلت: إني لم أرَ مثلك رجوت أن أكـون صـادقاً فجـزاك الله جنات الفردوس نزلاً فما خفـي عـليّ مقامـك ولا خـدمتك في الحرّ والبرد وفي الليل والنهار، فأسـأل الله إذا جمـع الخلائـق أن يحبوك برحمة تغبط بها انه سميع الدعاء».

زكريا بن آدم الأشعري القمي

قلت للرضا عليه السلام شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت فممّن آخذ معالم ديني؟!

ـ فقال عليه السلام: من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا.

انتهت انتفاضة عبد الرحمن بن الأشعث إلى الانكسار بعد تغلب جيش الحجاج عليهم بدير الجماجم وتفرق جمع القراء والفقهاء الذين شاركوا فيها، واستقصى الحجاج أسماء من شارك فيها وقد حلف ألا يؤتى بأسير إلاّ ضرب عنقه، فقد أتى بأعشى همدان فقتل، بينما أولئك الذين شهدوا على أنفسهم بالكفر! خلّى سبيلهم، فقد جيء له باثنين من (ثقيف)، فتقدم أحدهما فقال له الحجاج: أكفرت؟! قال: نعم. فقال له: لكن هذا الذي خلفك لم يكفر، وخلفه رجل من (سكون) فقال

السكوني: أعن نفسي تخادعني؟. بلى والله ولـو كـان شيء أشـد من الكفر لبؤت به!![1].

بينما لجأ غيرهم من المشاركين في الثورة إلى منـاطق أخـرى فرارا من الاعتراف على أنفسهم بالكفر، ونجـاة بـدينهم، علـما بأن الاعتراف بالكفر لم يكن ينجي كل من يعترف، إذ أن ذلـك يخضع لمزاج الحجاج، وتقديره لموقف الإنسان عموماً، ومـدى ولائه للسلطة.

وكان بين من لجأ إلى بلدة (قم) عبد الله بن سعد الأشعري جد زكريا، وكان أصله من قبيلة (الأشـعر) المعروفـة بـاليمن، لجأ عبد الله ومعه أخوته الأربعة، واختاروا البقاء في هذه المدينة البعيدة عن متناول السلطة المركزية سواء في الـشام أو العـراق. وكان عبد الله الأشعري قد ولد في الكوفة وتربى فيهـا، وتعلـم معالم العقيدة في حلقاتها، في وقت كانت الكوفة تضج بالحركـة العلمية والثقافية التي نقلها إليها تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام،

---

(١) مروج الذهب ٣/ ١٦٤.

وكانت حاضرة التشيع ـ آنئذ ـ دون منازع، إضافة إلى كونها منطقة المعارضة الأولى للحكم الأموي..

تربى عبد الله في الكوفة واستوعب مفاهيم التشيع وثقافة أهل البيت حتى أصبح المبرز في عائلته في هذا الجانب..

مع مجيء عبد الله الأشعري وإخوانه إلى بلدة قم واستقرارهم فيها ثم التحاق سائر أقاربهم وأصحابهم بهم، وكذلك لجوء عدد كبير من شيعة أهل البيت إلى هذه البلدة هرباً من مضايقة السلطات الحاكمة.. أصبح هؤلاء هم الحاكمون لها، والمسيطرون عليها، وبما يملكون من معرفة دينية، متميزة، هم أهل التوجيه الفكري، وهكذا صنعوا في قم حركة فكرية سليمة تنبثق من تعاليم أهل البيت ومعارفهم، وكانت من مميزات هذه الحركة الفكرية أصالة مفرداتها، وبعدها عن الغلو والإغراق، بحيث كان الأشعريون يخرجون من قم أصحاب العقائد المنحرفة وذوي الغلو.

وبمرور الزمان تحولت تلك البليدة الصغيرة البعيدة عن

العمـران المـادي والمعنـوي، منطقـة مهمـة في جغرافيـا حركـة التشيع، وإذا كان حرم رسول الله المدينة، وحرم أمـير المـؤمنين النجف فإن حرم أهل البيت قم[1]، بهذا الـشكل الـذي بـرزت فيه. وبهذا جـسّد عبـد الله الأشـعري وإخوانـه بعملهـم الآيـة القرآنية الكريمة:

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِـدَةً فَـإِذَا أَنْزَلْنَـا عَلَيْهَـا الْمَـاءَ اهْتَـزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

لقد عرفت قم بأنهـا المدينـة الخالـصة مـن التـشيع لأهـل البيت حينها.

وفي هذا الجو ولد زكريا بـن آدم بـن عبـد الله الأشـعري، ليصبح هو بدوره واحداً من أهم أصحاب الإمـام الرضـا، ثـم الجـواد عليه السلام. فقـد اختـصه الرضـا عليه السلام بالوكالـة، وأصـبح يتحمل مسؤولياتها في إدارة شؤون الناس في قم ونواحيها، بـل

(١) سفينة البحار/ ٢.

ربما حول الإمام الرضا عليه السلام إليه سائر أتباعه لسؤاله عما يجول ـ بخاطرهم إن لم يستطيعوا الوصول إلى الإمام عليه السلام، وهذا ـ لعمري ـ مقام رفيع يتمناه كل أحد ولولا ثقة الإمام في قدرة زكريا على تلبية الحاجات الثقافية والفكرية للشيعة لما كان يصنع ذلك.

فقد جاء علي بن المسيب الهمداني إلى الإمام الرضا عليه السلام، وبعد أن سأله ما أراد، قال له: شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت فممن آخذ معالم ديني؟ فقال: من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا. فلما انصرف ابن المسيب، قدم على زكريا فسأله عمّا احتاج إليه.

وهو لهذا الغرض كان يختصه بكثير من الوقت للإفاضة عليه من العلم النبوي المخصوص بأهل البيت، خصوصاً وقد تعاظمت مسؤولياته بوفاة أحد الوكلاء في منطقته، وهو زكريا بن إدريس الأشعري، (أبو جرير) فقد دخل زكريا بن آدم على الإمام الرضا أيام وفاة أبي جرير «فسألني عنه وترحم عليه ولم

يزل يحدثني وأحدثه حتى طلع الفجر، ثم قام وصلّى صلاة الفجر».

وحين يستأذن ـ بعد مدة ـ الإمام الرضا عليه السلام في الخروج عن منطقة لا يسمح له بذلك، لأن وجوده بينهم كفيل بدفع البلاء بمختلف أنواعه وذلك لما يشكله وجود العالم الورع في مثل منزلة زكريا من ضمانة لاستقامة مسيرة المجتمع، ويقول له: «لا تفعل فإن أهل بيتك يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام».

ويمضي الإمام الرضا عليه السلام مسموماً على يد المأمون العباسي وإذا كان بعض الناس قد شككوا في إمامة الإمام الجواد عليه السلام بعد أبيه نظراً لصغر سنه، وقد تصوروا المسألة ضمن المعادلات البشرية الاعتيادية، بينما هي اصطفاء إلهي، لا دخل للناس فيه، بل لا دخل للمنتخَب فيه أيضاً.

إلا أنه بعد أن جلس الإمام الجواد على مسند الإفتاء وقد أجاب على مسائل الناس بما حيرهم وهو آنئذٍ دون العاشرة

عادوا عـن تـشكيكهم، فقـد أراد العباسـيون تعجيـز الإمـام، وإحراجه أمام الحاضرين، بأن طلبوا من يحيى بن أكثم، قـاضي القضاة أن يعد أسئلة يعجز فيها الجـواد عـن الإجابـة. وهكـذا أعد مجلس، حضره العلماء والقضاة، وحضره أيضاً المأمون.

فقال يحيى بن أكثم: يا أبا جعفر أصلحك الله مـا تقـول في محرم قتل صيداً؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: قتله في حِـلّ أم حـرم، عالماً أو جاهلاً، عمداً أو خطأً، عبداً أو حراً، صـغيراً أو كبـيراً، مبدءاً أو معيداً، من ذوات الطير أو غيره، من صـغار الطـير أو كباره، مصراً أو نادمـاً، بالليـل في أوكارهـاً أو بالنهـار وعيانـاً، محرماً للحج أو للعمرة؟ قال: فانقطع يحيى انقطاعاً لم يخف على أحد من أهل المجلس انقطاعه وتحير الناس عجباً مـن جـواب أبي جعفر عليه السلام.

فقال المأمون: اخطب أبا جعفر؟ فقال عليه السلام: نعم يا أمـير المؤمنين، فقال: الحمد لله إقراراً بنعمتـه ولا إلـه إلاّ الله إجـلالاً لعظمته، وصلى الله على محمد وآله عند ذكره. أمّا بعد فقـد كـان

من قضاء الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال جلَّ وعزّ: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] ثم إن محمد بن علي خطب أمّ الفضل ابنة عبد الله، وقد بذل لها من الصداق خمسمائة درهم، فقد زوجته، فهل قبلت يا أبا جعفر؟ فقال عليه السلام: قد قبلت هذا التزويج بهذا الصداق. فأولم المأمون وأجاز الناس على مراتبهم أهل الخاصة وأهل العامة والأشراف والعمال. وأوصل إلى كل طبقة برّاً على ما يستحقّه.

فلمّا تفرَّق أكثر الناس قال المأمون: يا أبا جعفر إن رأيت أن تعرَّفنا ما يجب على كل صنف من هذه الأصناف في قتل الصّيد؟ فقال عليه السلام: إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً. وإن قتل فرخاً في الحل فعليه حمل

(١)سورة النور آية٣٢.

قد فطم فليست عليه القيمة لأنه لـيس في الحـرم. وإذا قتلـه في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ. وإن كان من الـوحش فعليـه في حمار الوحش بقرة، وإن كان نعامة فعليـه بدنـة فـإن لم يقـدر فإطعام ستين مسكيناً، فإن لم يقدر فليصم ثمانية عشر يوماً. وإن كان بقرة فعليه بقرة، فإن لم يقدر فليطعم ثلاثين مسكـيناً، فـإن لم يقدر فليصم تسعة أيام. وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن لم يقدر فليطعم عشرة مـساكين. فـإن لم يجـد فليـصم ثلاثـة أيـام، وإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً (هدياً بالغ الكعبـة) حقّـاً واجباً أن ينحره إن كان في حجّ بمنى حيث ينحـر النـاس، وإن كان في عمرة ينحره بمكة في فناء الكعبة ويتـصدق بمثـل ثمنـه حتى يكون مضاعفاً، وكذلك إذا أصاب أرنبـاً أو ثعلبـاً فعليـه شاة و يتصدق بمثل ثمن شاة. وإن قتل حماماً مـن حمـام الحـرم فعليه درهم يتصدق به. ودرهم يشتري به علفـاً لحـمام الحـرم. وفي الفرخ نصف درهم. وفي البيضة ربع درهم. وكل ما أتى به المحرم بجهالة أو خطأ فلا شيء عليه إلاّ الصيد، فإن عليـه فيـه الفداء بجهالة كان أم بعلم، بخطأ كان أم بعمد، وكل ما أتى به

العبد فكفارته على صاحبه مثل ما يلزم صاحبه، وكل ما أتى به الصغير الذي ليس ببالغ فلا شيء عليه. فإن عاد فهو ممن ينتقم الله منه. وإن دّل على الصيد وهو محرم وقتل الصيد فعليه فيه الفداء. والمصرّ عليه يلزمه بعد الفداء العقوبة في الآخرة. والنادم لا شيء عليه بعد الفداء في الآخرة. وإن أصابه ليلاً أو كارهاً خطأً فلا شيء عليه إلاّ أن يتصيّد، فإن تصيّد، بليل أو نهار فعليه فيه الفداء. والمحرم للحجّ ينحر الفداء بمكة.

ثم سأل الإمام الجواد عليه السلام قاضي القضاة يحيى بن أكثم:

فقال: يا أبا محمد ما تقول في رجل حُرّمت عليه امرأة بالغداة وحلت له ارتفاع النهار وحرّمت عليه نصف النهار، ثم حلت له الظهر، ثم حرّمت عليه العصر، ثم حلت له المغرب، ثم حرّمت عليه نصف الفيل، ثم حلت له الفجر، ثم حرّمت عليه ارتفاع النهار، ثم حلّت له نصف النهار؟

فبقي يحيى والفقهاء بُلساً خُرساً فقال المأمون: يا أبا جعفر أعزَّك الله بيّن لنا هذا؟

قال عليه السلام: هذا رجل نظر إلى مملوكة لا تحل لـه، اشـتراها فحلّت له. ثم أعتقها فحرمت عليه، ثـم تزوجهـا فحلّـت لـه. فظاهر منها فحرمت عليه. فكفّر الظّهار فحلّت له، ثـم طلّقهـا تطليقةً فحرمـت عليـه، ثـم راجعهـا فحلّـت لـه، فارتـد عـن الإسلام فحرمت عليه. فتاب ورجـع إلى الإسـلام فحلّـت لـه بالنكاح الأول، كما أقـرّ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم نكـاح زينـب مـع أبي العاص بن الربيع حيث أسلم على النكاح الأول[1].

إلاّ أن زكريـا كـان مـن الـسابقين الـذين آمنـوا بإمامـة الجواد عليه السلام، وذلك لأنه قد سمع من الرضا، الـنص عـلى ابنـه الجـواد عليه السلام، وبقـي زكريـا وكـيلاً في قـم مـن قبـل الإمـام الجواد عليه السلام تماماً كما كان أيام الرضا عليه السلام. فقد كان يبعث إليه بـما يجتمـع لديـه مـن الحقـوق الماليـة مـن قبـل شـيعته في قـم وأطرافها. حتى حضره أجله، ويمكـن أن نتعـرف عـلى موقـع زكريا عند الإمام الجواد عليه السلام من خلال تأملنا للـنص الثـاني، فقد روي عن محمد بن إسحاق والحسن بن محمد أنهما قالا:

---

(١) بحار الأنوار ٥٠/ ٧٦.

خرجنا بعد وفاة زكريا بن آدم إلى الحج، فتلقانا كتابه عليه السلام في بعض الطريق فإذا فيه: ذكرت ما جرى من قضاء الله في الرجل المتوفى رحمة الله عليه يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حياً، فقد عاش أيام حياته ـ عارفاً بالحق، قائلاً به صابراً محتسباً للحق قائماً بما يجب عليه لله ولرسوله ومضى رحمة الله عليه غير ناكث ولا مبدل جزاه الله أجر نيته وأعطاه خير أمنيته..[1]

(١)تنقيح المقال ١/ ٤٤٨

إبراهيم بن هاشم الكوفي القمي

بعد أن كانت حامية عسكرية، يجتمع فيها المقاتلون لترتيب أمورهم قبل الذهاب إلى الفتح أخذت الكوفة صورتها النهائية كأحد أهم الأمصار الإسلامية، التي دارت فيها ومنها حوادث تاريخ الإسلام الأساسية، منذ أن نزلها أمير المؤمنين علي عليه السلام جاعلاً إياها عاصمة دولته.

ومنذ ذلك التاريخ وجدنا أن الثقل الإسلامي قد انتقل إلى الكوفة، فالمقاتلون سابقاً أصبحوا مواطنين في هذا البلد، والكوفة أصبحت محور المعارضة للحكم القائم في الشام ثم في بغداد، بقدر ما أصبحت مركز العلم والفقه. فقد استوطنها ١٤٨ صحابياً فأخذت من الحجاز مكانته العلمية. خصوصاً مع وجود الإمام جعفر الصادق عليه السلام في فترة استفاد فيها من ظرف سقوط الحكم الأموي، وضعف الحكم العباسي الناشئ فالتفّ حوله المتعلمون، وقصده الرواة والمحدثون حتى لقد

ذكر الحسن بن علي الوشّاء كاشفاً عن شيء من حجم الحركة العلمية آنئذٍ قائلاً: إني أدركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ..كلٌّ يقول: (حدثني جعفر بن محمد عليه السلام)..

والذي كان يزيد من الحاجة إلى علوم أهل البيت عليهم السلام، كون أئمة أهل البيت قادرين على الحديث والجواب في وقت يسكت فيه غيرهم من علماء المذاهب الأخرى معلنين عجزهم، وإفلاسهم. أو أنهم يلجئون إلى إعمال قياساتهم واستحساناتهم، مما كان يوقعهم في مخالفات واضحة، وتناقضات صريحة.

وحدهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، ورثوا علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يعجزهم سؤال، ولم تحيّرهم معضلة فكرية.

ومن خلال هذا الزخم العلمي، وتربية هؤلاء العلماء، أصبحت الكوفة محور المذاهب ومعترك الآراء، وكان الفكر المتصل بالوحي من خلال أهل البيت هو المنتصر دائماً.

وبمقدار ما كانت الحركة العلمية فيها تنمو، كان الضغط

من قبل حكومات الوقت يزداد إذ لا شيء تخافه الحكومات كخوفها من حركة العلم و ا لوعي.

من جهة أخرى، انتشر هؤلاء التلاميذ، والرواة، في مختلف بلاد الإسلام ونقلوا معهم ما استوعبته عقولهم، وحفظته صدورهم من معارف الدين، فأسسوا في مواقعهم الجديدة مدارس، ومنائر هداية.. ومن هؤلاء كان إبراهيم بن هاشم، الكوفي الأصل، والذي انتقل إلى قم.. فكان أول من نشر حديث الكوفيين في قم.

ويبدو أن (قم) كانت على موعد مع دور أساسي ينتظرها لتكمل المرحلة الثانية من المسيرة التي بدأت الكوفة أولى مراحلها، إذ كانت بعيدة عن قبضة السلطة الحاكمة في أول أمرها، ثم شهدت فيها بعد وجود حكومات موالية لأهل البيت، مما جعل انتشار فكر أهل البيت، وعلومهم فيها ـ للسببين المذكورين ـ أمراً ميسراً..

نعم..

إن ما نقل على لسان إبراهيم بن هاشم من روايات عن الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي عليهم السلام (٦٢١٤) ستة آلاف ومائتين وأربعة عشر حديثاً، وابنه علي روى إضافة إلى نقله روايات أبيه سبعة آلاف ومائة وأربعين حديثا.. وهذه تشكل نسبة كبيرة من مجموع الروايات الموجودة في الكافي (أكثر من ثلث أحاديثه).

وهذا الأمر على جانب كبير من الأهمية، يكشف عن منزلة إبراهيم وابنه، إذ في مدرسة أهل البيت، الفضل لا يرجع إلى الأصل أو الجنس أو العشيرة، بل إلى الوعي والمعرفة، فإذا أردت معرفة منزلة هذا الشخص أو ذاك في هذه المدرسة، فما عليك إلاّ باختبار معرفته، ووعيه، ولأن خير المعارف ما كان متصلاً بالوحي فـ «اعرفوا منازل شيعتنا على قدر روايتهم عنا»، وإذا أضيف إلى هذه الرواية دراية، ومعرفة بمعاني تلك الروايات، أمكن لك أن تتصور ـ عزيزي القارىء ــ منزلة هؤلاء الرواة.

إنهم في الواقع هم الوسطاء بيننا وبين حكم السماء، ولولاهم لم يكن بإمكان الفقيه ـ فضلاً عن غيره ـ معرفة أحكام الله في القضايا الواقعة.. ويزيدك بياناً، إذا عرفت أنه يشترط في الرواية أن يكون الراوي ضابطاً ثبتاً حافظاً للرواية بنصها لا بمعناها، ومن دون زيادة أو نقيصة، وبعض الروايات من المعضلات التي ينفتح بواسطتها مغاليق أبواب في الفقه أو العقيدة.

لقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في هذا المعنى قوله لأحد أصحابه: «يا جابر والله لحديث تصيبه من صادق في حلال وحرام خير لك مما طلعت عليه الشمس حتى تغرب»، ومثله روي عن الإمام الصادق عليه السلام.

والكافي الذي صنفه ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني رضي الله عنه في عشرين سنة، كان بحقّ (جؤنة حافلة بأطائب الأخبار، ونفيس الأعلاق من العلم، والدين، والشرائع والأحكام والأمر والنهي، والزواجر والسنن والآداب

والآثار، ويحتوي من الأحاديث على أكثر من ضعف ما يوجد في صحيح البخاري، حيث يشتمل الكافي على (١٦١٩٩) ستة عشر ألفا ومائة وتسعة وتسعين حديثاً، بينما الموجود في البخاري مثلاً حوالي (٧٢٧٥) حديثا، ودونه ما هو موجود في صحيح مسلم).

وقد اتفق علماء الأحاديث على أنه لم يعمل مثله. ورواياته مدار الاستنباط والاجتهاد منذ أحد عشر قرناً من الزمان، ويحتوي من الكتب على:

الأصول

١. كتاب العقل والجهل، كتاب فضل العلم، كتاب التوحيد، وكتاب الحجة.

٢. كتاب الإيمان والكفر، كتاب الدعاء، كتاب فضل القران،كتاب العشرة.

الفروع

٣. كتاب الطهارة، كتاب الحيض، كتاب الجنائز، كتاب الصلاة،كتاب الزكاة.

٤. كتاب الصيام، كتاب الحج.

٥. كتاب الجهاد، كتاب المعيشة، كتاب النكاح.

٦. كتاب العقيقة، كتاب الطلاق، العتق والتدبير والمكاتبة، كتاب الصيد، كتاب الذبائح، كتاب الأطعمة، الأشربة، الزي والتجمل والمروة، الدواجن.

٧. كتاب الوصايا، كتاب المواريث، كتاب الحدود، كتاب الديات، كتاب الشهادات، كتاب القضاء والأحكام، كتاب الإيمان والنذور والكفارات.

٨. كتاب الروضة (وصايا المعصومين وخطبهم).

هذه الموسوعة الحديثية الكبرى التي دونت أيام وجود سفراء الإمام الحجة عجل الله فرجه، وبمسمع ومرأى منهم..

والتي لا يستغني عنها فقيه، روى علي بن إبراهيم أستاذ الكليني وشيخه في الحديث منها (٧١٤٠) سبعة آلاف ومائة وأربعين حديثا أي أقل من النصف، ومن هذه السبعة آلاف روى ستة آلاف ومائتين وأربعة عشر حديثاً عن أبيه إبراهيم بن هاشم.

وكانت صحبة إبراهيم بن هاشم في أكثرها للإمام الجواد عليه السلام فقد أخذ عنه، وعن تلاميذه أيضاً.. وكان يشهد بعينه كيف ينبعث هذا العلم الإلهي في أعقد المسائل الدينية على لسان هذا الإمام العظيم على صغر سنه.

فقد روى إبراهيم أنه: لما مات أبو الحسن الرضا عليه السلام حججنا فدخلنا على أبي جعفر (الجواد) عليه السلام وقد حضر خلق من الشيعة من كل بلد، فدخل عبد الله بن موسى وكان شيخاً كبيراً عليه ثياب خشنة وبين عينيه سجادة (أثر السجود) فجلس وخرج أبو جعفر عليه السلام من الحجرة وعليه قميص قصب ورداء قصب ونعل بيضاء.

فقام عبد الله واستقبله وقبّل بين عينيه وقامت الشيعة وقعد أبو جعفر على كرسي ونظر الناس بعضهم إلى بعض تحيّراً لصغر سنه.

فانتدب رجل من القوم فقال لعمه: ما تقول أصلحك الله في رجل أتى بهيمة؟!.

فقال: تقطع يمينه ويضرب الحد، فغضب أبو جعفر (الجواد) عليه السلام ثم نظر إليه فقال: يا عم: اتق الله اتق الله إنه لعظيم أن تقف يوم القيامة بين يدي الله عز وجل فيقول لك لم أفتيت الناس بما لا تعلم؟! فقال له عمه: يا سيدي: أليس قال هذا أبوك صلوات الله عليه؟!.

فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما سئل أبي عن رجل نبش قبر امرأة فنكحها فقال أبي تقطع يمينه للنبش، ويضرب حد الزنا فإن حرمة الميتة كحرمة الحية.

فقال عبد الله: صدقت يا سيدي وأنا أستغفر الله..[1]

---

(١)بحار الأنوار ٥٠/ ٨٦.

وابتدره الناس بعدها كل يسأله عن مسألة وهو يجيب بأوفى بيان.

وكانت قم حين وصلها إبراهيم بن هاشم، قد بدأت منذ عهد نهضتها الفكرية والعلمية ونظراً لوجود زعماء متنفذين فيها، فقد كانوا يحرصون على إبقاء جو قم، نظيفاً عن ما يشوه صفاء العقيدة الإسلامية من روايات مكذوبة، أو أحاديث غلاة.. خصوصا وأن الغلاة كانوا يحاولون استغلال بساطة الكثير من الناس، وقوة ولائهم للمعصومين عليهم السلام فيختلقون أحاديث ترفع من منازل المعصومين، فوق مرتبة البشر لتصنع منهم آلهة أو أنصاف آلهة.

لذلك رأى زعماء قم أن يحافظوا على صفاء عقيدة الناس في هذا البلد ففرضوا نوعاً من الرقابة الجماعية. فكانوا لا يبقون من يروي عن الغلاة، أو ينقل الأحاديث المنكرة.

وجاء إبراهيم بن هاشم في مثل هذا الجو، فأغناه بما حمل من علوم أهل البيت، ورواياتهم الثابتة الصحيحة، ووجد فيه

أهل قم وعلماؤها مدرسة كاملة قد انتقلت إلى قم، فاغتنموا وجوده.. وروى الكثير من أجلاء الطائفة عنه كأحمد بن إدريس القمي، وسعد بن عبد الله الأشعري، وعبد الله بن جعفر الحميري، ومحمد بن الحسن الصفار.

غير أن أكثر من روى عنه كان ابنه علي بن إبراهيم، إذ أنه روى عنه ستة آلاف ومائتين وأربعة عشر حديثاً، وروى عنه تفسير القرآن المشهور بتفسير علي بن إبراهيم، ويتميز هذا التفسير بأنه يفسر القرآن حسب كلام المعصوم عليه السلام في الجملة.. وهذا الطريق أي تفسير القرآن من طريق المعصوم هو الطريق السليم لمعرفة مقاصد القرآن.

ويعود بلا شك هذا العدد الكبير من الروايات إلى كونه معاصرا لثلاثة من الأئمة عليهم السلام وقد تلقى منهم مباشرة، كما تتلمذ وأخذ عن عدد من أعيان أصحاب الأئمة عليهم السلام فهو يعتبر تلميذ يونس بن عبد الرحمن وهو ممن اجتمع عندهم من علوم الأئمة الشيء الكثير، وآلت إليه رئاسة الفقه في عصره،

وتفوق على زملائه في كثرة رواياته، وفي حسن اجتهاده وفقهه،كذلك روى عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، والحسن بن محبوب، والحسين بن سعيد الأهوازي، وصفوان بن يحيى، وعبد الرحمن بن الحجاج وعبد الله بن جندب، ونظرائهم من مشاهير أصحاب الأئمة عليهم السلام.

وقد خلف كتابين، هما النوادر، وكتاب قضاء أمير المؤمنين عليه السلام.. لكننا من خلال النظر إلى ما تركه ابنه علي من مصنفات يمكن أن نقدر الثروة العلمية التي كان عليها الأب، ذلك أن أكثر روايات الابن عن المعصومين، هي عن طريق الأب إبراهيم بن هاشم.

أما علي بن إبراهيم فقد صنّف وأكثر فله من الكتب:

١. كتاب التفسير (المعروف).
٢. كتاب الناسخ والمنسوخ.
٣. كتاب قرب الإسناد.
٤. كتاب الشرائع.
٥. كتاب الحيض.

٦. كتاب التوحيد والشرك.

٧. كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

٨. كتاب المغازي.

٩. كتاب الأنبياء.

١٠. كتاب اختيار القرآن.

أحمد بن محمد بن خالد البرقي

١٩٤ ـ ت ٢٧٤ هـ

استشهد زيد بن علي بن الحسين في الكوفة، وبسبب خيانة حجّام طمع في القليل من المتاع، استخرج جسده بعدما دفن، وصلب على جذع نخلة.. وهكذا فإذا كان أبناء اللؤم لا يستطيعون الارتقاء إلى الأعلى مع الشرفاء، فإنهم يستطيعون الخيانة والانتقام.

وفرّ من بقي من أصحابه، بعد نهاية المعركة ـ منتشرين في البلدان، ينتظرون جولة أخرى في معركة أخرى، أو يمارسون دوراً آخر في تربية المجتمع، ونشر الوعي، فالحياة جولات متعددة.

والبعض منهم تم القبض عليهم، كما هو حال محمد بن علي الجد الثالث لأحمد البرقي، فقد سجنه يوسف بن عمر الثقفي، ثم قتله في سجنه. بينما استطاع جده الثاني عبد الرحمن

أن يختفي مع ابنه خالد، وأن يهاجر إلى بلدة برقة في أطراف قم، فأقاموا فيها.. وفيها ولد أحمد. ويبدو أن أحمد كان له توجه كبير إلى المعارف الدينية والعامة. منذ صغر سنه، لذلك حاول جهده أن يجمع ما كان يقع له من معارف، مستفيداً في ذلك من الجو العلمي الموجود في مدينة قم، والتي شهدت في تلك الفترة نهضة فكرية، ساعد عليها هجرة العديد من شيعة أهل البيت من الكوفة وسائر الأمصار، وأيضا تتلمذ القميين على يد أصحاب الأئمة المباشرين. فقد تتلمذ أحمد بن محمد البرقي وروى عن أكثر من تسعين من الرواة [1]، منهم من كان من أصحاب الإجماع كأحمد بن محمد بن أبي نصر، ومن أصحاب الأصول والمصنفات كالحسين بن سعيد، والحسن بن علي ابن فضال، وغيرهم.

ولهذا الاهتمام الثقافي الذي كان عنده، وجدناه أيضاً يكثر من التصنيف والتأليف، فقد صنف من الكتب:

---

(١)معجم رجال الحديث ٢/ ٢٦٧.

كتاب المحاسن: وقيل أنه يشتمل على قريب من مائة باب من أبواب الفقه والحكم والآداب والعلل الشرعية والتوحيد، وسائر مطالب الأصول والفروع. ويشتمل على ما يلي من الكتب:

١ ـ كتاب الإبلاغ. ٢ ـ كتاب التراحم والتعاطف. ٣ ـ كتاب آداب النفس.٤ ـ كتاب المنافع. ٥ ـ كتاب آداب المعاشرة ٦ ـ كتاب المعيشة ٧ ـ كتاب المكاسب.٨ ـ كتاب الرفاهية.٩ ـ كتاب المعاريض ١٠ ـ كتاب السفر ١١ ـ كتاب الأمثال ١٢ ـ كتاب الشواهد من كتاب الله عز وجل ١٣ ـ كتاب النجوم. ١٤ ـ كتاب المرافق. ١٥ ـ كتاب الزواجر. ١٦ ـ كتاب النوم. ١٧ ـ كتاب الزينة. ١٨ ـ كتاب الأركان. ١٩ ـ كتاب الزي. ٢٠ ـ كتاب اختلاف الحديث. ٢١ ـ كتاب الطيب. ٢٢ ـ كتاب المآكل. ٢٣ ـ كتاب المشارب. ٢٤ ـ كتاب الفهم. ٢٥ ـ كتاب الأخوان. ٢٦ ـ كتاب الثواب. ٢٧ ـ كتاب تفسير الأحاديث وأحكامه. ٢٨ ـ كتاب العلل. ٢٩ ـ كتاب العقل.٣٠ ـ كتاب التخويف.٣١ ـ كتاب التهذيب.

٣٢ ـ كتاب التسلية. ٣٣ ـ كتاب التاريخ. ٣٤ ـ كتاب الغريب. ٣٥ ـ كتاب المحاسن. ٣٦ ـ كتاب مذام الأخلاق. ٣٧ ـ كتاب النساء. ٣٨ ـ كتاب المآثر والأنساب. ٣٩ ـ كتاب أنساب الأمم. ٤٠ ـ كتاب الشعر والشعراء. ٤١ ـ كتاب العجائب. ٤٢ ـ كتاب الحقائق. ٤٣ ـ كتاب المواهب والحظوظ. ٤٤ ـ كتاب الحياة. ٤٥ ـ كتاب النور والرحمة. ٤٦ ـ كتاب الزهد والمواعظ. ٤٧ ـ كتاب ا لتبصرة. ٤٨ ـ كتاب التفسير. ٤٩ ـ كتاب التأويل. ٥٥ ـ كتاب مذام الأفعال. ٥٠ ـ كتاب الفروق. ٥١ ـ كتاب المعاني والتحريف. ٥٣ ـ كتاب العقاب. ٥٤ ـ كتاب الامتحان. ٥٥ ـ كتاب العقوبة. ٥٦ ـ كتاب العين. ٥٧ ـ كتاب الخصائص. ٥٨ ـ كتاب النحو. ٥٩ ـ كتاب العيانة والقيافة. ٦٠ ـ كتاب الزجر والفأل. ٦١ ـ كتاب الطيرة. ٦٢ ـ كتاب المراشد. ٦٣ ـ كتاب الأفانين. ٦٤ ـ كتاب الغرائب. ٦٥ ـ كتاب الحيل. ٦٦ ـ كتاب الصيانة. ٦٧ ـ كتاب الفراسة. ٦٨ ـ كتاب التعويض. ٦٩ ـ كتاب النوادر. ٧٠ ـ كتاب مكارم الأخلاق. ٧١ ـ كتاب ثواب القران.

٧٢ ـ كتاب فضل القرآن. ٧٣ ـ كتاب مصابيح الظلم. ٧٤ ـ كتاب المنتخبات. ٧٥ ـ كتاب الدعاء. ٧٦ ـ كتاب الدعابة والمزاح. ٧٧ ـ كتاب الترغيب. ٧٨ ـ كتاب الصفوة. ٧٩ ـ كتاب الرؤيا. ٨٠ ـ كتاب المحبوبات والمكروهات. ٨١ ـ كتاب خلق السماوات والأرض. ٨٢ ـ كتاب بدء خلق إبليس والجن. ٨٣ ـ كتاب الدواجن والرواجن. ٨٤ ـ كتاب مغازي النبي ﷺ. ٨٥ ـ كتاب بنات النبي وأزواجه. ٨٦ ـ كتاب الأجناس والحيوان. ٨٧ ـ كتاب التأويل..

وزاد بعضهم ٨٨ ـ كتاب طبقات الرجال. ٨٩ ـ كتاب الأوائل. ٩٠ ـ كتاب الطب. ٩١ ـ كتاب التبيان. ٩٢ ـ كتاب الجمل. ٩٣ ـ كتاب جداول الحكمة. ٩٤ ـ كتاب الأشكال والقرائن. ٩٥ ـ كتاب ذكر الكعبة. ٩٦ ـ كتاب التهاني والتعازي[1].



(١) رجال النجاشي والطوسي.

ويبدو أن أحمد بن محمد بن خالد كان يؤمن بنظرية تقول إن على البعض من العلماء والرواة جمع الأخبار والآثار، من أي مصدر كانت، وفيما بعد يأتي آخرون لكي ينقحوا هذه الأخبار وينقدوها، ويُميّزوا بين سمينها وغثها، ويعينوا الحجة منها عن سواه، لذلك، فقد قام أحمد البرقي بالجمع ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وهو في هذا الشأن كان يجمع حتى عن الضعفاء وغير المشهورين، بل حتى مراسيل الروايات، وغير المسندة منها تبعاً لتلك النظرية.

غير أن الرأي السائد في قم آنئذٍ، كان يخالف هذه النظرية بقوة، ولم يكن رواة قم وعلماؤها يقبلون النقل عن الضعفاء فضلاً عن اعتماد المراسيل من الروايات، وكانوا يعدون الناقل عن الضعفاء، والناقل للمرسلات، ضعيفاً في نفسه. وربما أخرجوه من قم ولم يسمحوا له بالعودة، ولعل هذه الإجراء الذي اتخذوه كان لمقاومة حركة الوضع والاختلاق التي كان قد بدأها الغلاة.

ولهذا السبب اصطدم محدثو قم، وعلى رأسهم أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، وكان بمثابة الشخصية الأولى في قم ورئيسها غير المنازع، حيث وجدوا أحمد بن محمد البرقي ينقل عن الضعفاء ـ تبعاً لنظريته تلك ـ ويروي أحاديث بلا سند ـ (مرسلة).. فلم يسمحوا له بالبقاء في قم، وقام أحمد بن محمد بن عيسى بإخراجه.

إلا أن أحمد بن محمد بن عيسى، والقميين ما لبثوا أن التفتوا إلى الخطأ الذي وقعوا فيه في حق أحمد البرقي ورأوا أنهم عثروا وزلوا في قرارهم ذلك، إذ أن البرقي كان ثروة علمية لا تعوض، فقد روى في فروع الحلال والحرام والأحكام الشرعية قرابة ثمانمائة وثلاثين رواية.

هذا إضافة إلى رواياته في أصول العقائد، فقد روى النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري عن أبي جعفر الثاني (الجواد) عليه السلام قال: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن عليه السلام وهو متكىء على يد سلمان فدخل المسجد الحرام، فجلس إذ أقبل رجل حسن الهيئة

واللباس فسلم على أمير المؤمنين فرد عليه السلام، فجلس ثم قال: يـا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمـت أن القوم ركبوا من أمرك ما قضى علـيهم وأن ليـسوا بمـأمونين في دنياهم و آخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء فقال أمير المؤمنين: سلني عما بدا لك!.

فقال أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحـه! وعـن الرجل كيف يذكر وينـسى؟ وعـن الرجـل كيـف يـشبه ولـده الأعمام والأخوال؟! فالتفـت أمـير المـؤمنين عليه السلام إلى الحـسن فقال: يا أبا محمد أجبه! فأجابه الحسن فقال الرجـل: أشـهد أن لا إله إلاّ الله ولم أزل أشهد بها! وأشهد أن محمداً رسـول الله ولم أزل أشهد بذلك وأشـهد أنـك وصي رسـول الله ـ وأشـار إلى أمير المؤمنين ـ ولم أزل أشهد بها وأشـهد أنـك وصـيه والقـائم بحجته وأشار إلى الحسن عليه السلام، وأشـهد أن الحـسين بـن عـلي وصي أخيه والقائم بحجته بعده، وأشهد على علي بـن الحـسين أنه القائم بأمر الحسين بعده وأشهد على محمد بن علي أنه القائم

بأمر علي بن الحسين وأشهد على جعفر بن محمد أنه القائم بـأمر محمد وأشهد على موسى أنه القائم بأمر جعفر بن محمد وأشهد على علي بن موسى أنه القائم بأمر موسى بن جعفر وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن موسى وأشهد على علي ابن محمد أنه القائم بأمر محمد بن علي، وأشهد على الحسن بـن عـلي أنه القائم بأمر علي بن محمد واشهد على رجل من ولـد الحـسن لا يكنى ولا يسمى حتى يظهر أمره فيملأها عـدلاً كـما ملئـت جوراً. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمـة الله وبركاتـه. ثـم قام فمضى.

فقال أمير المؤمنين: يا أبا محمد اتبعه فـانظر أيـن يقـصد؟! فخرج الحسن بن علي عليه السلام قال: ما كـان إلاّ أن وضـع رجلـه خارجاً من المسجد فما دريت أين أخذ مـن أرض الله فرجعـت إلى أمير المؤمنين فأعلمته، فقال: يا أبا محمد أتعرفه؟! قلـت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم. قال: هو الخضر عليه السلام[1].

(١)أصول الكافي ١/ ٥٢٦.

نعم بعدما انتبه القميون إلى ذلك. وعرفوا أي خسارة اكتسبوها، قام رئيس قم وشخصها الأول أحمد بن محمد بن عيسى، ومعه جماعة من أهلها بالاعتذار إلى أحمد البرقي، وطلبوا منه العودة إلى قم، وممارسة نشاطاته الفكرية والعلمية في أجوائها.

ومن مصنفاته أخذ من تأخر عنه من المصنفين وأرباب الجوامع. فقد أخذ الشيخ الصدوق من كتابه المحاسن، ما منه ألّف كتاب ثواب الأعمال، وعقاب الأعمال، وكتاب العلل...

وذات يوم وبينما كانت جنازة أحمد بن محمد بن خالد البرقي، على الأكتاف محمولة رأى القميون رئيسهم أحمد ابن محمد بن عيسى حافي القدمين ماشياً، وقد وضع العمامة عن رأسه، وهو يبكي.. ولم يكن ذلك العمل ردّ اعتبار لأحمد البرقي بعدما أخرج من قم فقط، بل كان رسالة اعتذار عملي من أحمد بن محمد بن عيسى، للبرقي أحمد.

نساء حول الإمام الجواد عليه السلام

سمانة المغربية

أم الإمام الهادي عليه السلام

«أمي عارفة بحقي، وهي من أهل الجنة، ما يقربها شيطان مريد، ولا ينالها كيد جبار عنيد، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين»

الإمام علي الهادي عليه السلام

ثمة ملاحظة تستوقف المتأمل في حياة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وهي علاقة أمهاتهم بهم.

ولمعرفة طبيعة تلك العلاقة، ينبغي أن نلقي بنظرة على العلاقة الحاصلة بين الأمهات وأبنائهم في غير ذلك الصنف المقدس.

فما أن تلد الأم وليدها حتى تحيطه بتيار غامر من العطف والحنان والمحبة، يكبر مع كل يوم يكبر فيه ويزداد مع نموه،

ولا تهدأ.. غاية الأمر أنه يتحول، فبينما يكون الغالب عليه هو المحبة مع الشفقة والخوف مع الدفاع عنه وهو صغير، فإن حالة الخوف عليه تتراجع نسبيا كلما كبر ونمى، وأصبح قادرا على الاعتماد على نفسه، ولكن العطف والمحبة، يبقيان ولا تؤثر فيهما عوامل الزمان الممتد.

هذا العطف والشفقة، وحاسة الدفاع عن الوليد، يتحول في أحيان غير قليلة إلى شعور بالعلو من الوالدين على الولد، بحيث يريان نفسيهما أفهم وأعرف بمصلحته وأخبر بالحياة.. لا سيما وهما لا تزال ترتسم في ذهنيهما صورة الطفل وهو رضيع أو وهو يحبو.. إلى آخر الصور التي رافقت طفولته..

ولهذا وجدنا أن من المصلحين، والشخصيات يحصلون على تقدير وإيمان المجتمع بهم، لكنهم في داخل أسرهم، وبين والديهم قد لا يجدان إلا الصورة القديمة المرتسمة في الذهن، صور الطفل الذي يحتاج إلى الدفاع عنه، وينبغي توجيهه لمصلحته، وإخباره عن مواضع الصواب والخطأ!!

وربما كـان هـذا سـببا في بعـض الحـالات إلى تنـازع بـين الوالدين، من جهة وبين الولد الذي أصبح ذا حكمـة ومعرفـة أو شخصية اجتماعية مميـزة، وهـو مـا يعـبر عنـه بعـض علـماء الاجتماع في بعض صوره بصراع الأجيال.

لكننـا عنـدما نـأتي إلى أمهـات الـصديقين مـن الأنبيـاء والأوصياء، نجد الأمر مختلفا، فهذه ﴿ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِـي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِـمَاتِ رَبِّهَـا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾[1].، قد ضربـت أروع مثـل في هـذا الجانب.. إمرأة يتحدث القرآن عن تجربتها مـرارا لكـي تكـون قدوة لمن يقرأ كتاب الله، ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَـرْيَمَ إِذِ انْتَبَـذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ۞ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِـمْ حِجَابـاً فَأَرْسَـلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ۞ قَالَـتْ إِنِّي أَعُـوذُ بِـالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً ۞ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّـاً

(١)سورة التحريم آية ١٢.

﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً ﴾(١).

امرأة على خط النار مع المجتمع اليهودي الفاسد، الذي كانت الجريمة فيه منتشرة، والزنا متفشيا، ولكنها في ظل ذلك الوضع، وهي بلا زوج مما يجعلها والحال تلك علكة اللائكين، لكنها قبلت كلام ابنها، وأوصلته إلى مسامع قومها ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴾.

وأشارت إليه بالنبوة. هنا يلاحظ المتأمل أن الأم التي هي في الحالات العادية، تفترض نفسها في موقع العلو، والأكثر معرفة بالحياة، وتفترض بالتالي أن يتبعها ابنها لا سيما في تلك الفترة الأولى من حياته. إلا أنها (صدقت بكلمات ربها) ودعت الآخرين إلى التصديق به. وإيمانها به يعني أن تكون تابعة له، ولا تصدر إلا عن أمره. وهو أمر ليس بالسهل حقا.

فإنه إذا كانت (حمامة الحي لا تطرب) كما هو المعروف فما ظنك بحمامة البيت؟

---

(١)سورة مريم آية ١٦– ٢١

ولقد وجدنا في تاريخ الأنبياء، والأئمة كيف أن قسما مـن الأقارب لا يؤمنون بالنبي أو لا يسلمون للإمـام، لا لـشيء إلا لأنه كان معهم صغيرا، وقد لعب كما يلعبون، وعـاش طفولتـه كما عاشوا طفولتهم، فلماذا يكون (نبيا) عليهم؟ ولمـاذا علـيهم أن يتبعوه؟ وهذا الذي أصابهم في المقتل!

نعم لو تجاوزوا هذه العقبة بمعرفة كافيـة (بحـق النبـي أو الإمام) فإنهم حينهـا يكونـون مـن أفـضل التـابعين لهـم ومـن أحسن المؤمنين بهم[1].

ومن هنا ندرك أهمية الكلمة التي قالها الإمام علي بن محمد الهـادي عـاشر أئمـة أهـل البيـت عليهم السلام في حـق أمـه الفاضـلة النجيبة، والتي تبرز جانبا مـن قداسـة عنـصرها «أمـي عارفـة

---

(١)في أصول الكافي: عن العدة عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي ابن الحكم عن سليمان بن جعفر قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وامرأته وبنيه من أهل الجنة.. ثم قال: من عرف هذا الأمر من ولد علي وفاطمة لم يكن كالناس.

بحقي وهي من أهل الجنة، ما يقربها شيطان مريد ولا ينالها كيد جبار عنيد وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين»[١].

ولا شك أن للحالة المعنوية العالية التي تتميز بها أم المعصوم عليه السلام، أثرا مهما في هذا الجانب، فنحن نعتقد أن كون امرأة أما لمعصوم يكشف بنحو حتمي عن وجود شيء عظيم من الخلق والإيمان واستعدادت التكامل في نفس تلك المرأة. ذلك أنه ليس كل واحدة من النساء مؤهلة لتكون ذلك الوعاء الذي سيحتضن قلبا يتنزل عليه الذكر، ويحيط بأسرار الرسالة والإمامة، فإن تأثير الأم في نفس وليدها مما لا يكاد ينكره غير المكابر. وبالرغم من وجود فكرة أن الأمهات مستودعات[٢]

---

(١)موسوعة الإمام الجواد ١/ ٤١.

(٢)قد يقال أن هذا البيت (وإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللأبناء آباء) قد ورد في الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام، ولو صح أن هذا البيت هو للإمام عليه السلام فقطعا ليس المعنى المذكور في المتن مرادا له صلوات الله عليه، كيف وهو الذي أثر عنه الكثير من الحديث

ولا أثر لهن في تكوين الطفل وإنما الآباء هـم المـؤثرون، إلا أنـه هذه الفكرة ثبت علميا بطلانها فإنهم يذكرون في علـم الوراثـة أن الصفات التي يرثها الطفل هي مجموع صفات أبيه وأمه، بل (آبائه وأمهاته) وثبت دينيا أيضا بما ورد عن الرسول ﷺ مـن أحاديث كثيرة تأثير الوراثة وأنه (تخيروا لـنطفكم فـإن النـساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن) بل حتـى أن (اللـبن ليعـدي) ونهـى عـن استرضـاع الحمقـاء، ومنـع مـن التـزوج بالكـافرة.وهكـذا كـون المعـصوم في حجـر تلـك المـرأة فـترة طفولته، يقتضي أن تكون في أعـلى درجـات التهـذيب النفـسي

في أثر الوراثة بل يظهر من ممارسته الشخصية وقصة طلبه من عقيل أن يخطب له امرأة ولدتها الفحول من العرب، مشهورة، بل حتى أثر الإرضاع فهو يقول: لا تسترضعوا الحمقاء فان اللبن يغلب الطباع، وكذا كيف يكون مقصوده ذلك وهو يقرأ القرآن القائل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، حيث جعل القرآن الناس مخلوقين من ثنائي الذكر والأنثى.ويقرأ قوله تعالى: ﴿..بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

لكيلا تنتقل الصفات السلبية لو كانت إلى الطفل فترة تلقيه. ولذا نجد أنه بالرغم من تعدد نساء المعصومين عليهم السلام، كانت أم المعصوم ذات حالة استثنائية، وبالرغم من وجود الدواعي الظاهرية لتكون غيرها، إلا أن مشيئة الله تقتضي خلاف ذلك، فهذا المأمون قد زوج الإمام الرضا علياً عليه السلام ابنته، وزوج الإمام الجواد أيضا أم الفضل، وكانت الظروف الظاهرية تقتضي أن ينجب أحدهما من إحداهما إلا أن ذلك لم يحصل. وحصل أن جاء الإمام الهادي عليه السلام ممن كانت عارفة بحقه، وممن هي من أهل الجنة، وذلك أنه لم يكن ليقربها شيطان مريد، لأنها مكلوءة ومحفوظة بعين الله التي لا تنام، وخلاصة الأمر أنها لا تتخلف عن أمهات الصديقين.

إن التاريخ لينقل لنا الكثير من المشاكل التي كانت موجودة عند بعض زوجات المعصومين، من مثال الغيرة والتحاسد، بل أحيانا التشكيك، لكن لم ينقل لنا أن واحدة من هذه الزوجات كانت أما لمعصوم من المعصومين، فقد نقل أن

أم الفضل كانت تتآمر على الإمام الجواد غيرة منها على أم الإمام سمانة التي كان النسل الإمامي المعصوم فيها، بينما هي التي يفترض أنها ابنة خليفة (هو المأمون) لم ترزق بشيء سوى سوء العاقبة بتآمرها على زوجها. حتى لقد روي أنها كانت أحد أطراف قضية سم الإمام الجواد عليه السلام على ما هو المشهور.

هذه جهة نعتقد أنها تؤثر في تصديق أم المعصوم بما عليه المعصوم من قرب إلهي، وما لديه من ميزات تفرضها عليه مسؤوليته الربانية. وهي جهة الحالة المعنوية العالية التي تتمتع بها، والتي كانت سببا أيضا لتتشرف بكونها وعاء طيبا يحمل خليفة الله في أرضه وحجته على عباده.

والجهة الثانية: ما كانت أمهات المعصومين عليهم السلام، يرينه من ألطاف الإله سبحانه على أزواجهم المعصومين، وما كن يشاهدنه من كراماتهم، فإذا أوصى المعصوم السابق للمعصوم اللاحق وأشار إليه بالإمامة، ونص عليه كن المبادرات إلى التصديق بذلك والإيمان به.

فإن الامتحان الحقيقي للقادة هو في بيوتهم، حيث لا يوجد الرقيب، وهناك يعرف ما إذا كان القائد يتحدث أمام الناس عن القيم والأخلاق الفاضلة، والإيمان العظيم، بينما هو يمارس أضدادها في منزله.. أو أنه منسجم مع دعواته الخارجية بأفعاله الداخلية، ولعل هذا يفسر لنا سر سؤال بعض الناس من عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن خلقه فقالت: كان خلقه القرآن.

إن الدرس الأعظم الذي ينبغي أن يستوعبه المؤمنون هو أن المعادلة الإلهية في التقديم والتأخير خاضعة لقانون واقعي صارم. خلافا للمعادلات السائدة في الدنيا، فإن من الممكن في الدنيا أن يتقدم بالتزوير والتدليس والقوة من حقه التأخير، ويؤخر من حقه التقديم بالإرهاب والاضطهاد، وهذا التاريخ بين يديك مكتوب والحاضر بين عينيك مشهود يبرهنان لك على صدق هذه المقولة.

لكن ذلك لا يحصل في المعادلة الإلهية، فلا يتقدم شخص في الآخرة إلا وهو مقدم، ولا يأتي أول الخلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ليطرق باب الجنة إلا لكونه أول الخلق وأفضلهم إيمانا واستجابة. بل حتى في الدنيا ـ ضمن المعادلة الإلهية ـ لا يمكن أن يكون شخص نبيا إلا وهو مستكمل للخصال اللازم توفرها في الأنبياء، وكذا الحال بالنسبة للأئمة[1].

(١)في بحار الأنوار ٨٢ ص ٥٢: أن رسول الله ﷺ قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض إطلاعة فاختارني منهم وجعلني نبيا و اطلع إلى الأرض إطلاعة ثانية، فاختار منها زوجك، فأوحى الله إلى أن أزوجك إياه، وأن أتخذه وليا ووزيرا، وأن أجعله خليفتي في أمتي، فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي: ثم اطلع إلى الأرض إطلاعة ثالثة فاختارك وولدك وأنت سيدة نساء أهل الجنة، وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، كلهم هادون مهديون، والأوصياء بعدي أخي علي ثم حسن وحسين ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله عز وجل من درجتي، و درجة أوصيائي، وأبى إبراهيم. أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله عز وجل إياك أن زوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي: أقدمهم سلما وأعظمهم حلما وأكثرهم علما، فاستبشرت فاطمة (عليها السلام) وفرحت بما قال لها رسول الله ﷺ.

وربما يكون هذا المعنى هو الذي أشار إليه أحد سفراء الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف وهو الحسين بن روح في حق فاطمة الزهراء عليها السلام عندما سئل عن سر تقديمها بحيث كانت أم الأئمة وقد ورد فيها ما ورد مع أن لرسول الله بنات أخريات؟ فقال: لفضل إخلاص عرفه الله في نيتها[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ ص ١٠٥: سأل أحدهم الحسين بن روح رضي الله عنه فقال: كم بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال: أربع، فقال: أيتهن أفضل ؟ فقال: فاطمة، قال: ولم صارت أفضل وكانت أصغرهن سنا وأقلهن صحبة لرسول الله ؟ قال: لخصلتين خصها الله بهما، إنها ورثت رسول الله ونسل رسول الله منها، ولم يخصها بذلك إلا بفضل إخلاص عرفه من نيتها..

لا يخفى أن الحديث يمكن أن يثير ملاحظات منها أنه يثبت أن باقي البنات هن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الحديث مما يعتبر دليلا على تلك الفكرة، إلا أن يناقش بأن الحسين بن روح أجاب السائل تنزلا، لإثبات أصل المطلب من غير نظر إلى إقراره للسائل على فكرته في كون تلكم البنات بنات نسبيات للرسول، كما يثير سؤالا آخر وهو أنه هل كان فضل إخلاص النية هو العامل الوحيد الذي تميزت به الزهراء عليها السلام ؟ وجوابه أنه لم يفرض أنه العامل الوحيد، ولعل الحسين أجاب السائل على مستوى تعقله دون أن يتعرض إلى كل الجوانب التي ربما كان بعضها أعلى من مستوى إدراكه. والله العالم.

ولذا فإن كون امرأة جارية أو من المغرب، هو بمنطق المعادلات البشرية الخاطئ في أغلبه، عامل من عوامل التأخير، ولكن ضمن المعادلة الإلهية التي تغوص في الأعماق فتقدم مَن ذاتُه طيبة، ومَن معرفته كاملة، وطاعته للحق تامة. وحينئذ تكون سمانة في منطق المعادلة الإلهية أما للمعصوم، وهي من أهل الجنة، وهي في ظل الحراسة الإلهية وفي حصن الخالق بعيدة عن مكائد الشياطين ووساوسهم.

زينب بنت الإمام محمد بن علي الجواد

بانية المشهد في قم

جرت سيرة العقلاء في تاريخ البشر على تخليد عظمائهم، وكبارهم.. لما يحمل ذلك التعظيم من دعوة الأخلاف واللاحقين، إلى تمثل سيرة أسلافهم والاقتداء بمناهجهم.

إن تعظيم أهل الخير والدين رسالة مستمرة لمن يأتي من بعدهم إلى أن من يريد الخلود والبقاء في ذاكرة التاريخ، وفي وعي الناس عليه أن يسلك طريق الله ويستمسك بعروته الوثقى.

بل وجدنا في تشريعات الأديان، ما يؤدي إلى هذا التعظيم، ويؤكد عليه ويعطيه بعدا دينيا مقدسا، فترى في دين الإسلام: استحباب التسمية بأسماء النبي المصطفى ﷺ،

والهداة الطيبين[1]، وتأكد استحباب الصلاة على محمد وآله الطاهرين.. هذا إضافة إلى لزوم الإتباع والاقتداء بهم.

ولا يختلف الحال في هذه المسألة بين كونهم على قيد الحياة، أو أنهم في رحاب الله تعالى، بعدما ما كانوا أفضل من الشهداء الذين هم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

بل كانت مواضع دفنهم أماكن تستمطر فيها رحمة الله وبركاته،

---

(١) منها: ما عن أبي جعفر عليه السلام، قال لابن صغير: ما اسمك ؟ قال: محمد. قال: بم تكنى ؟ قال: بعلي. فقال أبو جعفر عليه السلام: لقد احتظرت من الشيطان احتظارا شديدا، إن الشيطان إذا سمع مناديا ينادي (يا محمد) أو (يا علي) ذاب كما يذوب الرصاص، حتى إذا سمع مناديا ينادي باسم عدو من أعدائنا اهتز واختال.

ومنها ما عن سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يدخل الفقر بيتا فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء.

وما عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ولد لي غلام، فماذا أسميه ؟ قال: بأحب الأسماء إلي: حمزة.

(٢)سورة آل عمران آية١٧٠.

ويرجى فيها خيره لمن دعاه، فإن الله سبحانه وإن كان كما وصف نفسه ﴿ قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[١].

وتستوي المسافات بالنسبة إليه قريبها وبعيدها.. إلا أنه سبحانه جعل بعض الأزمنة كليلة القدر ويوم الجمعة وشهر رمضان وسواها، وبعض البلاد كمكة والمدينة وكربلاء، وبعض الأماكن كالمسجد الحرام، ومسجد النبي، وقبور الأنبياء والأئمة، جعل في كل تلك خصائص تجعل الدعاء أقرب للاستجابة من سائر الأماكن.

وقد فهم المسلمون في أدوار تاريخهم المختلفة هذه الحقيقة فكان قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعصومين من آله، والأولياء، أماكن يقصدها من يريد استلهام روح الفضيلة ممن لم يعاصر صاحب القبر.. وحرصوا على عمارتها معنى ومبنى، فكانوا يذهبون إليها، ويجددون بناءها[٢].

---

(١)سورة البقرة آية١٨٦.

(٢) ذكر غير واحد من فقهاء الجمهور أن الوقف على عمارة قبور

نعم خرج على هذه السيرة العامة للمسلمين، فئة ممن اعتبروا أنفسهم أصحاب توحيد الله بينما اعتبروا باقي المسلمين السابقين واللاحقين متمرغين في الشرك، وخائضين في أوحاله.. فاعتبروا البناء على القبور شركا[1]، والصلاة قربها

الأنبياء و العلماء والصالحين جائز وصحيح. راجع إعانة الطالبين ٣ / ١٩٥، وفتح المعين ٣.. وأما روايات أهل البيت عليهم السلام فكثيرة في هذا الباب منها ما ذكره في الوسائل ج ١٤ ص ٣٨٣: أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها، قلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها ؟ قال لي: يا أبا الحسن إن الله جعل قبرك وقبور ولدك بقاعا من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقربا منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواري غدا في الجنة، يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس... إلى آخر الحديث.

(١) بعد كتابة هذه الأسطر رأيت كلاما مفيدا للمحقق السيد مرتضى العسكري دامت بركاته، يرتبط بهذا الموضوع، وكنت بين الإقدام والإحجام في نقله بكامله، مع أنه مختصر من معالم المدرستين، ورأيت

أخيرا أن نقله ـ وإن طال ـ مناسب، فهلم معي لقراءته، قال حفظه الله:
الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء عليهم السلام واتخاذها محلاً للعبادة:
استدل قسم من المسلمين على تحريم البناء على القبور بروايات أهمها ما يأتي:

١ ـ عن علي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في جنازة، فقال:أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره، ولا قبراً إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟ فقال (رجل):أنا يا رسول الله، فانطلق فهاب أهل المدينة، فرجع. فقال علي:أنا أنطلق يا رسول الله. قال:فانطلق. فانطلق، ثم رجع، فقال:يا رسول الله، لم أدع بها وثناً إلا كسرته، ولا قبراً إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها.

وقد تكرر ورود هذا الحديث في كتب الحديث واكتفينا بإيراد أتم لفظ منه.

علة الحديث:

أولاً: سنذكر في ما يأتي أن رسول الله صلى الله عليه وآله زار قبر أمه، وبكى وأبكى من حوله. وكانت أمه قد توفيت في السنة السادسة من عمره الشريف بالمدينة المنورة، وعلى هذا فقد زار الرسول قبر أمه بعد نيف وأربعين سنة، حين هاجر إلى المدينة المنورة، وأن أثر قبر أمه عند ذاك كان ماثلاً للعيان، وإلا لما عرف قبرها. وإذا كان الحكم الإسلامي هو تسوية القبور فلم لم يأمر النبي صلى الله عليه وآله بهدم قبر أمه عند ذاك؟

ثانياً: إن أهل المدينة بعد أن أسلم بعضهم أرسل لهم الرسول صلى الله عليه وآله بادئ ذي بدء مصعب بن عمير، يعلم من أسلم منهم ما ورد من الإسلام يوم

ذاك. ولما وفدوا إلى الحج، حضر المسلمون منهم العقبة وبايعوا رسول الله ﷺ سراً، ولم ينتشر الإسلام بينهم، إلى أن هاجر الرسول ﷺ إليهم، وتبعه الإمام علي عليه السلام بعد ثلاث أو أكثر وقصة وروده المدينة بعد ذلك مشهورة.

وتدرج الرسول ﷺ في بسط حكمه على المدينة بعد أن عاهد يهود قريظة وبني النضير وبني قينقاع، ودخل أهل المدينة كلهم في الإسلام متدرجاً. فمتى كان إرسال النبي ﷺ الإمام علياً عليه السلام من تشييع جنازة إلى المدينة ليهدم الأصنام ويسوي القبور ويلطخ الصور، كالحاكم الذي لا راد لأمره ؟ أضف إليه أن محتوى الخبر أن المرسل الأول ذهب، وهم في تشييع الجنازة، ورجع خائباً، ثم أرسل النبي ﷺ الإمام علياً عليه السلام بعده وهم لا يزالون في تشييع الجنازة. فكيف يتم ذلك!؟

ثالثاً: وفي بقية الحديث أن الإمام علياً عليه السلام قال لأبي الهياج الأسدي: أبعثك فيما بعثني رسول الله ﷺ أمرني أن أسوي كل قبر وأطمس كل صنم.

ولا يكون إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي في أمر إلا في عصر خلافته، وعليه يتجه هذا السؤال: متى كان إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي؟ أفي عصر خلافته وبعد الفتوحات الإسلامية وبعد زمن الخلفاء الثلاثة أم قبله؟ وإلى أي بلد بعث الإمام علي أبا الهياج لتهديم القبور وطمس الأصنام؟

وأخيراً في كلا الخبرين أمر من الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام ـ إن صح الخبران ـ بتهديم قبور المشركين في بلد الشرك، فكيف يدل ذلك

على انتشار هذا الحكم إلى قبور المسلمين ووجوب تهديمها؟
ب ـ رووا عن النبي ﷺ أنه قال: اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.
وفي الرواية الثانية شخص الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال:قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.
علة الحديث:
إن بني إسرائيل بعد أن ساروا من مصر وعبروا البحر وجازوا التيه. وبلغوا فلسطين، أصبح لهم بيت عبادة وهو (بيت المقدس) ولم يكن لهم بيت عبادة غيره. وفي عصر سليمان أصبح لسليمان الملك النبي بلاط يسمى هيكل سليمان. فأين كانت قبور أنبيائهم التي اتخذوها مساجد؟ وكان بيت المقدس وبلده تحت أنظار المسلمين والعرب قبل عصر رسول الله ﷺ، وأما ما بقي من قبور أنبيائهم مثل قبر الخليل وموسى بن عمران، فإنا لم نر ولم نسمع ولم يكتب أحد أن اليهود اتخذوهما وثناً. وعلى فرض أن قبراً اتخذ وثناً، فإنه لا يصدق على احترام القبر وزيارة القبر، فإن اتخاذه وثناً يعني أن يستقبل القبر كما تستقبل الكعبة في الصلوات. فأين هذا من ذاك؟
ليس مورد الشك في كل ما ذكرناه، وما سنذكره بعد هذا، أحاديث رسول الله ﷺ ـ معاذ الله ـ وإنما البحث يجري حول رواة الأحاديث الذين لم يعصمهم الله من الخطأ والسهو والنسيان.كان ما ذكرناه أمثلة من أدلة من رأي البناء على القبور مخالفاً للشريعة الإسلامية.وفي ما يأتي أدلة من رأى ذلك موافقاً لها.

أدلة من رأى جواز اتخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة:

يستدل من يرى صحة اتخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة بأن الطائفين حول الكعبة يطوفون حول حجر إسماعيل عليه السلام ويتمسحون بجداره، وفيه قبر إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، كما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية:

فقد ورد في سيرة ابن هشام (ت: ٢١٨هـ) وتاريخ الطبري (ت: ٣١٠هـ) وابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) وابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) واللفظ لابن هشام: ودفن ـ إسماعيل ـ في الحجر مع أمه هاجر. وفي لفظ ابن الأثير: وأوصى إسماعيل أن يدفن عند قبر أمه في الحجر.

كان هذا ما ورد في كتب مدرسة الخلفاء، وورد في كتب حديث مدرسة أهل البيت كالآتي:

ورد في الكافي للكليني: (ت: ٣٢٩هـ) وكتاب من لا يحضره الفقيه وعلل الشرائع للصدوق (ت: ٣٨١هـ) والوافي للفيض (ت: ١٠٨٩هـ) والبحار للمجلسي (ت: ١١١١هـ) واللفظ للأول: وفيه ـ أي في الحجر ـ قبر هاجر وقبر إسماعيل.

وفيها أيضاً: وفيه ـ أي في الحجر ـ قبور أنبياء.

ويستدلون على صحة البناء على القبر، إضافة إلى ما سبق، بأن قبور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخليفتين أبي بكر وعمر في بناء مسقف منذ أن توفوا إلى يومنا الحاضر.

ويستدلون أيضاً بقوله تعالى:

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة/ ١٢٥. وقوله تعالى في ما

إثما، مع أنهم يلاحظون قبر النبي ﷺ منذ أن دفن صلوات الله عليه فيه، مثابة للمذنبين، وموئلا للطالبين لرحمة الله، ولم يزل يوما بعد يوم يزداد عمرانه تحت سمع ونظر العلماء والفقهاء من الطوائف الإسلامية والمذاهب المتعددة.

واشتهر أتباع أهل البيت عليهم السلام بحرصهم على عمارة قبور أولياء الله والأئمة الهادين في كل عصر ومصر. ورأوا من فوائدها ومنافعها عيانا ووجدانا ما صدّق الأخبار الواردة في هذا الشأن، من بركات تلك البقاع المستمرة، حيث أصبحت

أخبر عن قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ الكهف/ ٢١.

إن الوهابيين يسمون المسلمين الذين يزورون قبور الأنبياء والصحابة والأئمة بالقبوريين. ومن الأحرى، مع ما ذكرنا، أن يسموا خاتم الأنبياء ﷺ وأصحابه والأنبياء من قبلهم الذين طافوا حول حجر إسماعيل عليه السلام بالقبوريين، لما في حجر إسماعيل من قبر هاجر وإسماعيل عليهما السلام وولده وكذلك أنبياء من قبلهم!!

هكذا كان اختلاف الأحاديث في بناء القبور، أو بالأحرى اختلاف فهم الأحاديث، منشأ هذا الخلاف.. انتهى كلام المحقق العسكري.

معالم للهدى، ومنائر للعلم والتقى، وهذه حوزاتهم العلمية التي حفت بقبور أهل البيت واستدارت عليها كما يستدير الشعاع على مصدر النور. وتلك مدنهم الدينية التي جاورت تلك القبور، فإذا بتلك القبور (الميتة) تعطي الحياة، وإذا بتلك المواضع (المندرسة) تنتج الحضارة والعمران.

وليس هذا شيئا حادثا، بل وجدناه من قديم الأيام، فهذه السيدة زينب[1] بنت الإمام الجواد عليه السلام، تلتفت إلى هذا المعنى، فتقوم ببناء قبة على قبر عمة أبيها السيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر (المعروفة بالسيدة المعصومة) في بلدة قم. بعد أن كانت عليه سقيفة..

وكانت تلك السقيفة قد أنشأها موسى بن خزرج بن سعد الأشعري وهو من زعماء قم في تلك الفترة، فإن فاطمة

(١) ذكر أن الإمام الجواد عليه السلام كان له من البنات: خديجة وحكيمة وأم كلثوم، (في أكثر المصادر أم كلثوم وفي بعضها زينب) ولعل اسمها زينب وكنيتها أم كلثوم.

بنت الإمام الكاظم عليه السلام لما وصلت إلى بلدة ساوة دنت منها الوفاة[1]، سألت عما بقي بينها وبين بلدة قم، وأمرت بأن يعجل في الذهاب إليها، فلما وصلت إلى قم لم تلبث إلا يسيرا حتى توفيت، ودفنت هناك، وجعل على قبرها سقيفة[2]، وبقي الحال هكذا إلى أن قامت زينب ببناء قبة عليها.

ومعنى بناء القبة أنه لا بد أن يكون قد تم تجديد البناء بشكل كامل، فإن نظام بناء القبب، يختلف عن السقائف، ولذا لا بد أن يؤسس من جديد.

إن قيام السيدة زينب بنت الإمام الجواد عليه السلام ببناء قبر السيدة المعصومة، وتشييده وإنشاء قبة عليه، فيه دلالات كثيرة؛

(١) اشرنا في ترجمة حياتها إلى بعض ما يرتبط بهذا الجانب.

(٢) نفترض أن ذلك لأجل مجيء بعض الزوار أثناء النهار، ووجود السقيفة وهي أشبه بالمجلس المسقوف بالسعف، يسهل أمر الزيارة، ويمنع حرارة الشمس والمطر.

ـ منها ما يرتبط بنفس العمل وهو تشييد قبر ولي من أولياء الله، وما يمثله ذلك من اهتمام وعناية بهؤلاء.

ـ ومنها ما يرتبط بالفوائد المتوخاة والمترقبة من عمارة هذه المشاهد، وقد رأينا كيف كانت تلك المشاهد تصنع المدن حولها، وتصبغها بطابع الإيمان والعلم ولنا في النجف وكربلاء وخراسان وقم، وغيرها أمثلة واضحة.

ـ ومنها ما يرتبط بالعامل وهو السيدة زينب، فإن هذه المرأة الصالحة لم تتخذ موقفا سلبيا من العمل الصالح، مع أنه بحسب رأي البعض، يرتبط بالرجال أكثر من ارتباطه بالنساء.. لكنها رأت أنها أولى بعمل الخير من الغير. وفي هذا درس للنساء أن لا يرين الرجال أولى بفعل الخير منهن، فإذا كان زعيم البلد موسى بن خزرج قد اكتفى بسقيفة (وجزاه الله خيرا) فإن زينب هذه قد تجاوزت الأمر إلى أن بنت عليها قبة ومشهدا..

الطريف في الأمر، وكأن الله سبحانه يريد أن يعلم الناس

أن فعل الخير يعود إلى صاحبه قبل كل أحد.. الطريف أن زينب بنت الإمام الجواد عليه السلام هي نفسها عندما توفيت دفنت في نفس هذا المكان[1] الذي عمرته لعمة أبيها!!

(١)موسوعة الإمام الجواد عليه السلام ـ السيد الحسيني القزويني ج ١ ص ٥١

فاطمة بنت الإمام الرضا عليه السلام

ذهب بعض الكتاب إلى أن الإمام الرضا عليه السلام لم يخلف سوى ابنه محمد الجواد عليهما السلام، وقد استدل لرأيه بما (ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن شهرآشوب في المناقب، والطبرسي في إعلام الورى، والطبري في الدلائل وغيرهم، وهو أن الرضا عليه السلام مضى ولم يترك ولدا إلا ابنه الإمام بعده أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام[1].

إلا أن الصواب هو القول المقابل لهذا، وهو أنه خلف عددا من الأولاد ـ تختلف الأقوال في عددهم ـ من بينهم ابنته فاطمة[2]. فقد نقل صاحب موسوعة الإمام الجواد عليه السلام

---

(١) الشاكري الحاج حسين: في الإمام علي بن موسى الرضا ص٢٤

(٢) هذا لا يتنافى مع ما سبق ذكره في ترجمة الإمام الجواد فإن تأخر ولادة الإمام ـ كولد تكون فيه الإمامة ـ لا يلازم عدم وجود بنات للإمام الرضا قبله.

نصوصا متعددة تشير بنحو لا يقبل الشك أن أولاد الإمام الرضا عليه السلام وإخوة الجواد كانوا متعددين وأن من بينهم بنتا، اختلف المؤرخون في اسمها، فتارة هم يذكرون ـ وهو الأكثر ـ أن اسمها فاطمة، وأخرى يتحدثون عن حكيمة، وثالثة يذكرون عائشة.

ونحن إذا استبعدنا الاسم الثالث لقرائن متعددة، منها أنه لم يكن اسما شائعا بل ولا نادرا بين بنات الأئمة، وربما يكون ذلك لأجل الإيحاءات الخاصة لصاحبة الاسم، أو لجهة أننا لا نجد أي خبر أو أثر عن صاحبة هذا الاسم في حياة الإمام الرضا عليه السلام.

يبقى الأمر دائرا بين الاسمين الآخرين، هذا بناء على وجود بنت واحدة، وأما بناء على وجود بنتين كما هو ليس بالبعيد، فلا مشكلة. وقد يقال بأن الشخصية واحدة ولكن الاسم متعدد، وهذا احتمال جيد لولا أن الروايات التي تنقل عن فاطمة تختلف عن ما نقل عن حكيمة. والظاهر أن اسم حكيمة إما هو مصحف فاطمة بنت الرضا، أو خلط بينها وبين

حكيمة بنت محمد بن علي (الرضا)، فإن ما يوجد عن حكيمة هو رواية واحدة نقلها القطب الراوندي في كتابه الخرائج والجرائح، مرسلة عن محمد بن ابراهيم الجعفري، تحكي عن معجزة من معاجز الإمام الجواد عليه السلام، ثم نقلها عنه من تأخر عنه.. ومع تمامية الرواية يحتمل قويا أن تكون عن حكيمة بنت الجواد عليه السلام.

ويبقى اسم فاطمة وهو الذي نعتقده، بناء على أنه كان للرضا عليه السلام بنت واحدة، تزوجها محمد بن جعفر بن القاسم الجعفري ـ نسبة إلى جعفر بن أبي طالب ـ وهو ابن أخ داود ابن القاسم المعروف بأبي هاشم الجعفري، من أصحاب الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام. وقد روى عن فاطمة روايات متعددة وبأسانيد مختلفة، في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وبعض فضائله.. ولكن لنتعرض قليلا لما ذكره بعض المؤرخين وأرباب السير حول أولاد الإمام كما نقل ذلك السيد الحسيني القزويني، فقد نقل عن:

ـ الأربلي رحمه الله: قال محمد بن طلحة: وأما أولاده (أي الرضا عليه السلام) فكانوا ستة: خمسة ذكور، وبنت واحدة. وأسماء أولاده: محمد القانع عليه السلام، الحسن، جعفر، إبراهيم، الحسين، عائشة.

وقال عبد العزيز بن الأخضر: له من الولد: خمسة رجال، وابنة واحدة، هم: محمد الإمام عليه السلام، وأبو محمد الحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسين، وعائشة.

وقال ابن الخشاب: ولد له خمس بنين وابنة واحدة، أسماء بنيه: محمد الإمام أبو جعفر الثاني عليه السلام، أبو محمد الحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسن، وعائشة فقط.

ـ الشيخ الصدوق رحمه الله: أبو الحسن بكر بن محمد ابن إبراهيم بن زياد بن موسى بن مالك الأشج العصري، قال: حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى عليهما السلام، قالت: سمعت أبي عليا يحدث عن أبيه.... والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

ـ العلامة المجلسي .: كتاب المسلسلات:.عن بكر بن أحنف قال: حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليها السلام قالت: حدثتني فاطمة، وزينب، وأم كلثوم بنات موسى ابن جعفر عليهما السلام:... والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

ـ ابن الصباغ: قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت عليهم السلام: ولد للرضا عليه السلام: خمس بنين وابنة واحدة، أسماء أولاده: محمد القانع، والحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسين، والبنت: عائشة رضوان الله عليهم أجمعين

ـ فخر الرازي: أبو الحسن علي الرضا عليه السلام وله من الأبناء: خمسة وبنت واحدة. أما البنون: فأبو جعفر محمد التقي الإمام عليه السلام، والحسن، وعلي، قبره بمرو، والحسين وموسى. والبنت هي: فاطمة عليها السلام

ــ القندوزي الحنفي: أولاده (أي الرضا عليه السلام) خمسة وبنت واحدة، أجلهم وأكملهم محمد التقي الجواد عليه السلام[1].

(١) القزويني – السيد الحسيني / موسوعة الإمام الجواد ج ١ ص ٥٢.

ثم لا يخفى أن المصدر المذكور قد ذكر أيضا عددا من النصوص فيها أنه لم يخلف سوى محمد الجواد عليه السلام وهي بملاحظة هذه النصوص الأخرى المثبتة لا يمكن أن يؤخذ بها، إضافة إلى آثار هؤلاء الأبناء الوجودية وهي روايتهم عن آبائهم، ورواية الرواة عنهم..

فمن ذلك روايتها لحديث الغدير والمنزلة، وهو ما نقله في خلاصة عبقات الأنوار من: رواية محمد بن عبد الله بن المحب المقدسي.. قال ابن الجزري: «وألطف طريق وقع لهذا الحديث وأغربه: ما حدثنا به شيخنا خاتمة الحفاظ، أبو بكر محمد ابن عبدالله بن المحب المقدسي مشافهة، أخبرتنا الشيخة أم محمد زينب ابنة أحمد بن عبد الرحيم المقدسية... حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا، حدثتني فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر، قلن: حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد الصادق، حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي، حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين، حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين ابن

علي، عن أم كلثوم بنت فاطمة بنت النبي عليه السلام، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي عنها. قالت: أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه، وقوله صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام؟

هكذا أخرجه الحافظ الكبير أبو موسى المديني في كتابه المسلسل بالأسماء وقال: هذا الحديث مسلسل من وجه، وهو أن كل واحدة من الفواطم تروي عن عمة لها، فهو رواية خمس بنات أخ كل واحدة منهن عن عمتها[1].

ومنه ما نقله في البحار[2] عن كتاب المسلسلات، في فضائل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام: ـ كتاب المسلسلات: حدثنا محمد بن علي بن الحسين قال: حدثني أحمد بن زياد بن جعفر قال: حدثني أبو القاسم جعفر بن محمد العلوي العريضي قال: قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن خليل: قال: أخبرني علي بن محمد

---

(١)النقوي ـ السيد حامد ج ٧ ص ١٨٨.

(٢)العلامة المجلسي في البحار ج ٥٦ ص ٧٦ عن عيون أخبار الرضا.

بن جعفر الأهوازي قال: حدثني بكر بن أحنف قال: حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليه السلام قالت: حدثتني فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر عليهما السلام قلن حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد عليهما السلام قالت: حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي عليهما السلام قالت: حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين عليهما السلام قالت: حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي عليهما السلام عن أم كلثوم بنت علي عليه السلام عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لما اسري بي إلى السماء دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من درة بيضاء مجوفة، وعليها باب مكلل بالدر و الياقوت، وعلى الباب ستر فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب «لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي القوم» وإذا مكتوب على الستر بخ بخ من مثل شيعة علي؟ فدخلته فإذا أنا بقصر من عقيق أحمر مجوف، وعليه باب من فضة مكلل بالزبرجد الأخضر، وإذا على الباب ستر، فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب «محمد رسول الله علي وصي

المصطفى» وإذا على الستر مكتوب: «بشر شيعة علي بطيب المولد».

كما أنه روى عنها في العيون أخبارا في الفضائل الأخلاقية: منها ما جاء في السيطرة على الغضب، وآثار حسن الخلق، وعدم جواز ترويع المسلم:

فعن الصدوق عن محمد بن أحمد بن الحسين، عن علي بن محمد بن عنبسة، عن بكر بن أحمد بن محمد، عن فاطمة بنت الرضا، عن أبيها، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه وعمه زيد، عن أبيهما علي بن الحسين، عن أبيه وعمه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن حسن خلقه بلغه الله درجة الصائم القائم[1].

وفي حديث آخر نقله في العيون أيضا قال: حدثنا محمد ابن أحمد بن يوسف البغدادي، قال: حدثنا علي بن محمد عيينة قال: حدثني أبو الحسن بكر بن أحمد محمد بن إبراهيم بن زياد

---

(١)بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ج ٨٦ ص ٣٨٨ .

ابن موسى بن مالك الأشج العصري، قال: حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليهما السلام، قالت: سمعت أبي عليا يحدث، عن أبيه، عن جعفر محمد، عن أبيه وعمه زيد، عن أبيهما علي بن الحسين عن أبيه وعمه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال لا يحل لمسلم أن يروع مسلما[1].

ويعلق صاحب كتاب (ألف حديث في المؤمن) على الحديث قائلا: السند من حيث اشتماله على فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليه وعلى آبائه آلاف التحية والثناء، مهم ويظهر منه حضور النساء في (المجاميع العلمية) في ذاك الزمان وفى هذا المجال راجع الرسالة التي كتبتها في سالف الزمان تحت عنوان (النساء في أصول كتبنا الرجالية) لإثبات هذا الموضوع.

نخلص من هذا إلى عدة نقاط:

الأولى: أن ما ذكره بعض المؤرخين ومنهم أعيان من الطائفة، كالشيخ المفيد رحمه الله من أن الإمام الرضا لم يخلف

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ـ الشيخ الصدوق ج ١ ص ٧٥.

سوى الجواد عليه السلام، لا يساعد عليه الدليل. والصحيح أنه خلف أولادا متعددين، ومنهم بنت هي فاطمة والتي تم الحديث عنها في هذه الأسطر.

الثانية: أن ما ذكره البعض من أسماء أخرى (كعائشة وحكيمة) وأنهن بنات للرضا عليه السلام لم نجد له دليلا واضحا.

الثالثة: أن فاطمة بنت الإمام عليه السلام كانت راوية سواء في أصول العقائد كالإمامة أو في الفضائل الأخلاقية، وكانت بعض رواياتها تتميز من حيث السند كما هو في المسلسلات، وقد تقدمت، وأنها كانت تحدث وتنشر ذلك، وتحضر المجامع العلمية، وتروي للرجال أيضا أو يسمعون منها.

سبيكة أم الإمام الجواد عليه السلام

«... خيرة الإماء النوبية الطيبة الفم المنتجبة الرحم»

قد لا نستطيع أن نفهم بدقة ـ ونحن في هذا العصر ـ الحالة التي كانت سائدة في العصور الإسلامية الأولى، في القرنين الأول والثاني، وذلك أن الدعوات العنصرية، والتفضيلية لشعب على آخر، ولجنس على جنس ثان قد أصبحت من القبح ما يتبرأ معه أكثر الناس منها، حتى من يمارسها فعلا، يستحي من إظهارها قولا. وذلك لتأثير دعوات الأنبياء من جهة، ولوصول البشر إلى مقدار من التعقل عرف معه أن تفضيل جنس على آخر، لا أساس له ولا يمكن الدفاع عنه أو تبريره!

ولهذا نقول إنه لا يمكننا أن نفهم بدقةٍ تلك الحالة الموجودة في مجتمع المسلمين حيث يفترض أن من أصول الدين

الإيـمان بتـساوي البـشر أمـام الله في التكليـف والمـسؤولية، وتعادلهم مـن حيـث الخلقـة الإنـسانية، وأنـه جعلهـم شـعوبا وقبائـل ليتعـارفوا، ووضـع بيـنهم مـوازين في التفاضـل هـي التقوى[١] والعلم[٢] والعمل الصالح[٣].

وقد يمكن أن يتصور حالات التميز والشعور بالأفضلية، بين المسلمين الأوائل حيث كانوا في بدايـة عهـدهم بالإسـلام، ولم يتخلصوا ـ بعد ـ من الآثار الجاهلية في الفكـر والأخـلاق، وربما كان يغتفر ذلك، فإن تغيير النفوس، والعـادات، وإعـادة صقل الشخصية، ليس أمراً هينا، ولا يتم بسرعة..

---

(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)

(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:١١)

(٣) ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧)

ولكن الأمر غير المفهوم هو وجود تلك الحالات بقوة، وتركزها بعمق، في الفترات المتأخرة من حياة المسلمين أي بعد مرور قرنين من الزمان، حيث يفترض أنه قد تبدلت الأجيال المتأثرة بالحالة الجاهلية السابقة، وجاءت أجيال جديدة، نشأت في ظل الثقافة الإسلامية، وضمن إطار الدول المسلمة، كيف بدأت تمارس مفردات التمييز العنصري، والعرقي بأسوأ حالاته!! ولم يكن ذلك محصورا فيمن يطلق عليهم العامة، بل كان موجودا في العلماء (!!)، والطبقة التي يفترض أنها طليعة المجتمع الإسلامي معرفة، ووعيا!

ولنأخذ نزرا مما نقله التاريخ كشاهد على تلك الحالة:

فقد ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد بعض حالات التمييز بين العرب والموالي، فقال:

قدَّم نافعُ بن جُبير بن مطْعِم[1] رجلاً من أهل الموالي يُصلِّي

---

(١) ترجمه الزركلي في الأعلام فقال: نافع بن جبير بن عدى بن نوفل (.. ـ ٩٩ هـ =.. ـ ٧١٧ م)، من قريش: من كبار الرواة للحديث.

به فقالوا له في ذلك فقال: إنَّما أردتُ أن أتواضع لله بالصَّلاة خلفَه[1]!.

وكان نافعُ بن جُبير هذا إذا مَرَّت به جِنازة قال: من هذا فإذا قالوا: قُرشي قال: واقَوْماه! وإذا قالوا: عربيّ قال: وابلدَتاه! وإذا قالوا: مَوْلى قال: هو مالُ الله يَأخذ ما شاء ويَدَع ما شاء!

قال: وكانوا يَقُولون: لا يَقْطع الصلاةَ إلا ثلاثة: حِمار أو كَلب أو مَوْلى.

وكانوا لا يَكْنُونهم بالكُنَى ولا يَدْعُونهم إلا بالأسماء والألْقاب ولا يَمْشون في الصَّف معهم ولا يُقَدِّمونهم في المَوْكب وإن حَضَروا طَعاماً قاموا على رؤوسهم وإن أطْعموا

تابعي. ثقة. من أهل المدينة. كان فصيحا، عظيم النخوة، جهير المنطق، يفخم كلامه، وفيه تيه. وكان ممن يؤخذ عنه ويفتى بفتواه.

(١) في التعديل والجرح ذكر أنه قدم رجلا شيخا من بني عبد الدار فلما فرغ من الصلاة قال: أتدري لم قدمتك ؟ قال: لشرفي وسني!! قال: لا ولكني أردت أن أتواضع لله بك!!

المولَى لسنّه وفَضله وعِلْمه أَجْلسوه في طَرف الخِوَان لئلا يَخفى على الناظر أنه ليس من العَرب ولا يدعونهم يُصلّون على الجَنائز إذا حَضر أحد من العرب وإن كان الذي يَحُضر غَرِيراً.

وكان الخاطب لا يَخطب المرأَةَ منهم إلى أَبيها ولا إلى أخيها وإنما يَخْطبها إلى مَواليها فإن رَضيَ زُوِّج وإلا رُدَّ فإنْ زَوّج الأب والأخ بغير رَأي مَواليه فُسخ النِّكاح وإن كان قد دَخل بها وكان سِفاحاً غيرَ نِكاح.

وقال زِياد: دعا مُعاوِية الأَحْنف بن قَيْس وسَمُرة بن جُنْدب فقال: إنِّي رأيتُ هذه الحَمْراء قد كَثُرت وأَراها قد طعنت على السَّلف وكأني أنظر إلى وَثْبة منهم على العَرب والسُّلطان فقد رأيتُ أن أقتل شَطْراً وأدع شَطْراً لإقامة السُّوق وعِمارة الطريق فما تَرَوْن فقال الأحنف: أَرى أنَّ نَفْسي لا تَطِيب يُقْتل أخِي لأمي وخالي وَمَوْلاي! وقد شارَكْناهم وشاركونا في النّسب فظننتُ أنّي قد قُتلتُ عنهم وأطرق.

فقال سَمُرة بن جُنْدب: أجعلها إلي أيها الأمير فأنا أتولّى ذلك منهم وأبْلُغ إلى ما تريد منه.

فقال: قوموا حتى أنْظر في هذا الأمر.

قال الأحْنف: فَقُمْنا عنه وأنا خائفٌ وأتيت أهْلي حَزِيناً.

فلما كان بالغَداة أرسل إليَّ فعلمتُ أنه أخذ برَأيي وتَركَ رَأي سَمُرة.

وإذا تركت هذه النماذج في العصر الأموي وجئت إلى العصر العباسي فإنك تلحظ هذه الروح والممارسة باقية، ولا أدل على هذه العقلية مما جرى مع سوار بن عبد الله بن قدامة قاضي البصرة وأميرها لأبي جعفر المنصور ـ فقد جاءه أعرابي من بني العنبر فقال: «إن أبي مات وتركني وأخا لي ـ وخط خطين في الأرض ـ ثم قال: وهجينا ـ (يعني: أخٌ أمّهُ أمة) وخط خطا ناحية ـ فكيف نقسم المال؟ فقال سوار: أها هنا وارث غيركم؟ قال: لا، قال: المال بينكم أثلاثا (يعني ثلاثة أقسام)، فقال: لا أحسبك فهمت عني؟ أنه تركني وأخي وهجينا لنا، فقال سوار: المال بينكم أثلاثا، قال: فقال الأعرابي: يأخذ الهجين كما آخذ وكما يأخذ أخي! قال: أجل!

فغضب الأعرابي. قال: ثم أقبل على سوار فقال: تعلم والله أنك قليل الخالات بالدهناء[١]..

وقد قلنا في ترجمات سابقة، أن مما صنعه أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال هو أنهم سعوا عبر وسائل مختلفة، لدمج هذه الفئات، وتذويب تلك الفروقات، والسعي لإحلال الثقافة القرآنية الصحيحة، التي لا تمييز فيها ولا تفضيل إلا بالتقوى والعلم والعمل الصالح..

بل كانت القضية ضمن الإطار الغيبي كما نعتقد في اختيارات أمهات الأئمة المعصومين، فإن الأم كما هو ثابت ليست مجرد وعاء، وإنما تؤثر بنسبة أو بأخرى في نفس وجسم جنينها.

ومن تلك الأمهات الفاضلات المنتخبات لرعاية الإمامة: السيدة المكرمة سبيكة: أم الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام.

---

(١) المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل ج ٢ ص ٤٨.

وقـد ورد في حـديث إنهـا مـن بيـت ماريـة القبطيـة[1]، أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. كما ورد ذكر لها باعتبار أنها «خـيرة الإماء النوبية الطيبة الفم المنتجبة الـرحم»[2] في حـديث يـروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقيل إن اسمها درة، وإنها كانت مريسية أو مرسية[3].

ويظهر أن بين هذه الأقوال نوع اختلاف، وذلك لأن كونها من

---

(١) في الكافي ١/ ٣١٥ باب النص على علي بن موسى الرضا، في خبر يزيد بن سليط، عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: يايزيد فإذا مررت بهذا الموضع ولقيته وستلقاه، فبشره أنه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك وسيعلمك أنك لقيتني، فأخبره عند ذلك أن الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من أهل بيت مارية جارية رسول الله أم إبراهيم، فإن قدرت أن تبلغها مني السلام فافعل ذلك..

(٢) المصدر ١/ ٣٢٢ في خبر ينقله عن علي بن جعفر، عما جرى بين الإمام الرضا عليه السلام وبين إخوته بشأن الإمام الجواد عليه السلام.

(٣) في معجم البلدان ـ الحموي ج ٥ ص ١١٨: المريسة: بفتح أوله، وتخفيف الراء، وياء ساكنة، وسين مهملة: جزيرة في بلاد النوبة كبيرة يجلب منها الرقيق. مريسة: بالفتح ثم الكسر والتشديد، وياء ساكنة، وسين مهملة: قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد.وقد ذكر اسم مرسية باعتبارها من بلاد الأندلس.

النوبة يعني أنها من محيط جنوب مصر الحالية، أو شمال السودان، وهذا يخالف كونها مرسية حيث أن مرسية منطقة في حوالي مراكش، أو الأندلس.

كما أن كونها نوبية يخالف بظاهره كونها قبطية، وجهة ذلك أن المعروف عن النوبة سمرة اللون بخلاف الأقباط حيث المعروف عنهم بياض اللون[1].

وإذا استبعدنا (مرسية) التي هي من بلاد الأندلس من الاحتمالات، حيث لم ترد في النصوص، مثلما وردت أنها مريسية. فيبقى الأمر دائرا بين كونها من أهل مصر (الأقباط) بقرينة ما ورد في الرواية أنها من أهل جارية مارية القبطية. وبين كونها من النوبة، بحسب ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ: في ذكره للإمام الجواد عليه السلام ابنها، ابن خيرة الإماء النوبية الطيبة الفم المنتجبة الرحم[2].

---

(١) ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ١ص ١٣٤: كان رسول الله ﷺ يعجب بمارية القبطية وكانت بيضاء جعدة جميلة

(٢) ذكر الملا صالح المازندراني في كتابه شرح أصول الكافي أن المراد من

وإذا لم يثبت أن الجيل الذي كان يعيش في هذه المنطقة، منطقة مارية القبطية أنهم كانوا من بيض الألوان، وإنما كانوا فئات وقبائل متنوعة العنصر واللون.. فالأمر سهل ويمكن الجمع بين الروايات المذكورة.

وأما لو كان غير ذلك، وأن المنطقة المذكورة كانت تحتضن القبائل بيضاء اللون، بينما المعروف عن النوبة سمرة الألوان، فيبقى التخالف بين الروايات.

وآنئذ فإننا نرجح الروايات القائلة بأن السيدة سبيكة كانت من النوبة.. ويشير إلى ذلك ما ورد في أن الإمام الجواد عليه السلام كان أسمر اللون[1].

الكلمة المذكورة هو صاحب العصر والزمان، محمد بن الحسن العسكري عجل الله فرجه.. مع أنه لا يساعد على ذلك سياق الحديث ولا حال الإمام الحجة، فلم تكن أمه نوبية كما سيأتي.

(١) في مطلع الحديث المذكور أن أخوة الإمام الرضا عليه السلام اعترضوا عليه في شأن الإمام الجواد أنه ما كان فينا أحد حائل اللون، وفي رواية أخرى أيضا ما يفيد كونه أسمر اللون. بل في البحار نقلا عن المناقب أنه كان عليه السلام شديد الأدمة.

وعلى أي حال فإن مما يبرز عظيم شأنها، هو أنها وقعت محلا للثناء عليها من قبل اثنين من المعصومين، رسول الله حيث مدحها بكونها خيرة الاماء وبأنه منجبة الرحم، وطيبة الفم.. ونحن نعتقد أن في تلك الكلمات معانيَ عالية، فإن معنى كونها منجبة (أو منتجبة) مع أنها كما يظهر لم تلد غير الإمام الجواد عليه السلام فيه معنى كبير.. وهكذا في قوله (طيبة الفم) فإنه وإن كان الظاهر من ذلك هو الطيب والنظافة عن الروائح غير الحسنة، إلا أن الجهة المعنوية من كونها نظيفة الكلام، وبعيدة عن الفحش، وما يشين.. هي الأقرب للاعتبار، وذلك أن الطيب بالمعنى الأول مشترك بين الكثير، وليس فيه ميزة كالميزة الموجودة في نظافة الفم بالمعنى الثاني، المعنوي والأخلاقي.

وهكذا ما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام من سلامه عليه وإبلاغ الراوي أن يوصل إليها سلام الإمام إن لقيها، وسيلقاها كما أخبره عليه السلام، فإن فيه لفتة اهتمام وعناية واضحة ببيان جلالة شأنها وعلو قدرها.

إن تفدية النبي ابنها الجواد عليه السلام بأبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ووصفها من قبله بأنها خيرة الإماء، وسلام الإمام الكاظم عليها، لهو منهج في كيفية تعامل المعصومين مع من يطلق عليهم آخرون بأنهم (مال الله يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء) أو رغبة بعضهم في بقاء (الموالي) وغير العرب لكنس الطرقات، وصبغ الثياب!!

زينب بنت محمد بن يحيى

يتحدث الرجاليون عن أن هناك عددا غير قليل من الأصول والكتب[1] الحديثية قد تلفت، واندثرت على أثر

(١)المعروف في ألسنة العلماء بل كتبهم أن الأصول الأربعمائة جمعت في عهد مولانا الصادق عليه السلام كما عن بعض، وفي عهد الصادقين عليهما السلام كما عن آخر، أو في عهد الصادق والكاظم عليهما السلام كما ذكره الطبرسي في إعلام الورى، حيث قال: «روى عن الصادق عليه السلام من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف إنسان، وصنف من جواباته في المسائل أربعمائة كتاب معروفة تسمى الأصول رواها أصحابه وأصحاب ابنه موسى عليهما السلام لكن حكى الوحيد في فوائد التعليقة عن ابن شهر آشوب أنه في معالمه نقل عن المفيد ـ رحمه الله ـ أن الإمامية صنفوا من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى زمان العسكري عليه السلام أربعمائة كتاب تسمى الأصول . دراسات في علم الدراية- علي أكبر غفاري ص ٥٨ .

وقال الشهيد الثاني ـ في شرح دراية الحديث -: قد كان استقر أمر المتقدمين على أربعمائة مصنف لأربعمائة مصنف، سموها (أصولا) فكان عليها اعتمادهم ثم تداعت الحال إلى ذهاب معظم تلك الأصول ولخصها جماعة في كتب خاصة تقريبا على المتناول، وأحسن ما جمع منها

المعاناة العظيمة التي عاشها شيعة أهل البيت عليهم السلام في أدوار تاريخهم، ولعل ما يتحدثون عنه يعتبر أمرا طبيعيا وهو وفق القاعدة!! فإذا كان الشيعي في تلك الفترات لا يأمن على وجوده، ولا ينجو إلا بحشاشة نفسه، فمن الطبيعي أن يكون أمر الحفاظ على الكتاب والعلم، في الدرجة التالية..

ونحن نقرأ في ترجمات العديد، أن لهم صحبة ولهم رواية عن الإمام، ولكننا عندما نبحث في مختلف الكتب الحديثية

(الكافي) و(التهذيب) و(الاستبصار) و(من لا يحضره الفقيه). انتهى
وقد بقي شيء كثير من هذه الأصول الأربعمائة، فكان شيء كثير منها محفوظا عند (الشيخ الحر العاملي)، وبعضها عند (العلامة المجلسي) وبعضها عند (العلامة النوري)، وفقد مع ذلك كثير منها.
وقد قيل في الفرق بين الأصل والكتاب آراء كثيرة، منها أن الأمر عائد للترتيب، فالكتاب مصنف على أساس ترتيب الروايات بحسب المواضيع، بينما الأصل دونت فيه الروايات من غير ذلك الترتيب، وقيل إن الأصول هي التي أخذت من المعصوم عليه السلام مشافهة ودونت من غير واسطة راو، وغيرها أخذ منها، فهي أصل باعتبار أن غيرها أخذ منها.

الموجودة اليوم، والمنتشرة بفضل وسائل الطباعة المتطورة، لا نجد لهم حديثا واحدا، ولا جزء رواية!!

وها لا تفسير له غير ما ذكرنا من ضياع تلك الأصول والكتب، واندثارها.. وهذا لعمري مما يعقد مهمة من يبحث عن ترجمة لهذه الأسماء، فإنه قد يمكن دراسة ترجمة شخصية من الشخصيات من خلال التطلع في ما كتبه المؤرخون عن فترات حياة تلك الشخصية وأدوارها المتميزة.. أو في الحالة الأخرى يمكن استنطاق بعض النصوص التي ورد فيها ذكر لتلك الشخصية، أو من خلال نقلها للروايات..

وبالنسبة للشخصيات التي نتحدث عنها يبدو أن إمكانية الاعتماد على النهج الأول غير ممكنة، وذلك لأن المؤرخين قد دأبوا ـ غالبا ـ على الحديث عن القضايا السياسية، والأمور ذات الصوت والجلبة!! ولم يتعرضوا من قريب أو بعيد للحديث عن الشخصيات التي كان لها دور في الجانب العلمي أو الاجتماعي إلا بمقدار ما يتصل بالجوانب السياسية..

ولو أراد شخص أن يقرب وضع المؤرخين بمثال، فإنه سيجد الصحفيين المعاصرين مثالا مناسبا، فكم ترى في المجتمع من شخصيات فكرية، وتشاهد من حركة ثقافية وغيرها، لكنك لا ترى صدى لهذه الوجودات في الصحافة اليومية إلا بمقدار النزر اليسير.. فهذا الطريق، إذن، مغلق.

والطريق الثاني وهو دراسة تلك الشخصيات من خلال وجودها العلمي، والروائي، حيث يمكن معرفة شيء من شخصية الراوي من خلال رواياته، وما ذكره الرجاليون عنه في هذه الجهة.. أيضا لا ينفعنا في بعض هذه الترجمات، حيث لا تجد تلك الروايات التي يفترض أن الشخصية المذكورة قد روتها عن المعصوم مباشرة أو بصورة غير مباشرة..

وأمامنا مثال من هذا النوع، زينب بنت محمد بن يحيى، فقد ذكرها من الرجاليين الشيخ الطوسي قدس سره في كتابه: رجال الطوسي، وبين أنها من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام. كما

ذكرها العلامة الأردبيلي[١] في جامع الرواة[٢] في قسم النساء اللائي لهن رواية عن المعصوم عليه السلام. وأشار إلى أن لها صحبة أو رواية عن الإمام الجواد عليه السلام، ولم يشر إلى روايتها.

وقد بحثت ما وسعني البحث عن اسم لها في الروايات، في ما توفر لي من المجاميع الحديثية المشهورة منها وغيرها، باستخدام الحاسب الآلي، فلم أجد رواية تذكرها لا من قريب ولا بعيد.

---

(١) من تلامذة العلامة المجلسي، استفاد من العلامة المذكور، وله كتاب (جامع الرواة) والذي هو مع قلة أجزائه، إلا أنه (جمع فأوعى).

(٢) ٢ / ٤٥٧.

موجز عن حياة الإمام علي بن محمد

أبو الحسن (الثالث) الهادي عليه السلام ٢١٢ ـ ٤٢٥ هـ.

ولد الإمام علي الهادي عليه السلام عام ٢١٢ هـ وتوفي عام ٢٥٤ هـ وتولى الإمامة بعد شهادة أبيه وعمره حوالي الثلاثة عشر عاماً، ومدة إمامته أربعة وعشرون عاماً.

كان ملوك عصره من العباسيين (وهم المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمعتز) من أشد الحكام تعصباً ضد منهج أهل البيت وأتباعهم، فالمعتصم سبق أن تآمر لاغتيال والد الإمام الهادي عليه السلام، الإمام الجواد عليه السلام والمتوكل هو صاحب الصيت السيئ في منع زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، ومعاقبة الزوار بالسجن والتعذيب وهو الذي أمر (بحراثة) قبر الإمام الحسين. وباستثناء المنتصر الذي كان يميل إلى أهل البيت ولم يبق في الحكم إلاّ فترة قصيرة (أقل من سنة) فإن الصبغة العامة

التي لونت حكم هؤلاء الخلفاء كانت عداوة أهل البيت عليهم السلام.

عاش الإمام الهادي عليه السلام قرابة العشرين عاماً بعد والده في المدينة المنورة، ممثلاً دور أجداده الطيبين في نشر الفضيلة والحفاظ على الشريعة، وكانت المدينة تنتظر هذه الفرصة بفارغ الصبر فالتفت حول الإمام الهادي عليه السلام مستنطقة إياه عن علم النبوة، ومستلهمة منه أسرار الإمامة، مما دعى أحد عملاء الحكم العباسي أن يكتب للخليفة: «إن كان لك بالمدينة حاجة فأخرج منها علي بن محمد»، وبالفعل فقد استدعي الإمام إلى سامراء مركز الخلافة، حيث يكون تحت المراقبة والنظر.

فيما كان الحكام سادرين قي أهوائهم، كانت حركات الانحراف الفكري تنشأ وتنشط في الأمة، وكان من أبرزها حركات الغلو، ولأن الإمام هو حافظ شريعة جده فقد تصدى لفكر الغلو، ولأشخاص الغلاة. على الأصعدة الثلاثة الفكري والاجتماعي، ووصلت المسألة إلى حد القيام باغتيال زعماء الفكر المغالي.

كان المتوكل ـ الذي يسمونه (محيي السنة)!! يطلب من الجلاوزة إحضاره، وأحياناً في نصف الليل، وبينما الإمام يصلي نوافله الليلية يرى الجلاوزة قد تسلقوا عليه الجدار، لكي يبحثوا عن (الأسلحة والأموال) كما يزعمون، ويحضرون الإمام من مصلاه إلى مجلس المتوكل حيث مائدة الخمر، ويطلب منه المتوكل الشرب فيأبى ويلقي عليه شعر وعظ، وتذكير بالموت.

لم يكن الخلفاء العباسيون ينظرون بعين الارتياح لوجود الأئمة عليهم السلام إذ أن الخلفاء وإن كانوا أمراء الأجسام إلاّ أن الأئمة كانوا حكام القلوب، لذلك كان الخلفاء يسعون دائماً لاغتيال الأئمة، ولعلك بهذا تجد السبب في أن الأئمة في هذه الفترات كانوا يقضون نحبهم وهم في عز الشباب.. وهكذا قضى الإمام الهادي وعمره اثنان وأربعون سنة.. ودفن في سامراء.

رجال حول الإمام الهادي عليه السلام

محمد بن علي الهادي عليه السلام

أبو جعفر

الإمامة ـ كما فهمها أهل البيت ومن بعدهم أتباعهم ـ تختلف عنها عند غيرهم. فإذا كانت عند غيرهم أمراً اعتبارياً يحصل من خلال تفويض مجموعة من الناس أمور دينهم أو دنياهم له، وكما تحصل لهذا الشخص برجوعهم إليه، فإنها تسلب منه برجوعهم عنه تماماً كسائر الرئاسات الأخرى، فإنها في نظر أهل البيت عليهم السلام ليست كسائر الرئاسات، بل هي كالنبوة تحصل لشخص من قبل الله سبحانه وتعالى من دون أن يكون للناس دخل في تعيين الإمام، كما لا دور لهم في تعيين النبي والرسول. بل عليهم واجب البحث عنه والإيمان به والدفاع عنه.

ولو فرضنا أن هؤلاء الناس لم يتبعوا الإمام ولم يسلموا إليه مقاليد الأمور العامة، فنحي عن موقعه الاعتيادي في قيادة

المجتمع، فإن ذلك لا يؤثر إطلاقاً في إمامته، كما هو الحال في الرئاسة الاعتبارية حيث يفقد الرئيس صفة الرئاسة عندما لا يجد من يطيعه.

ليس هذا فحسب، بل لا دخل للإمام نفسه في أن يكون إماماً أو لا يكون، ولا دور له في (تعيين) من يخلفه من الأئمة إلا بمقدار التبليغ، وإيصال النص إلى الناس. فحتى لو رغب الإمام ـ من باب الفرض المجرد ـ في شخص غير المعين من قبل الله سبحانه، فإنه لا يستطيع أن يصرف الإمامة، لأنها تحتاج إلى مواصفات خاصة لا تتوفر في كل شخص. وقد مر في ما سبق جانباً منها، وهذا الأمر كان واضحاً ليس فقط لشيعة الأئمة، بل حتى لأعدائهم[1] فهؤلاء كانوا يعلمون أن الإمام يتصف بصفات خاصة.

---

(١) راجع جعفر (المعروف بالكذاب) بن الإمام الهادي الخليفة العباسي بعد شهادة أخيه الحسن العسكري عليه السلام لكي يصيّر ما كان للإمام العسكري (الإمامة) إليه!! فسخر منه الخليفة قائلا: إن كان هذا الأمر لك فلا تحتاج إلى ذلك وإن لم يكن فلو اجتمع الناس على ذلك لم يكن ليصل إليك.. للتفصيل يراجع: إكمال الدين وتمام النعمة.

ولا ترتبط المسألة بالوراثة كما يحلو للبعض ممن لم يتعرف على نظام الإمامة في الإسلام، وإن وجدنا أن الأئمة من ذرية رسول الله ﷺ وأبناء علي عليه السلام.. إذ لو كانت الوراثة هي المعيار الوحيد في الإمامة لما تخلف هذا من أبناء الإمام الحسن عليه السلام، مع أن أحداً منهم لم يكن إماماً بل لما تخلف عن سائر أبناء الإمام الحسين وأحفاده، كزيد بن علي بن الحسين، مع ما كان يتميز به من علم وفضل. وهكذا تجد في كل حلقة أنه يوجد إلى صف الإمام المعين والمنصوب من قبل الله، بنص رسول الله، كان هناك إخوة إلى جانبه، ولم يصبحوا أئمة برغم كونهم أبناء إمام وإخوة إمام.. ووجدنا أن بعضهم كان يدرك هذه الحقيقة فيقدم فروض الطاعة، والإتباع، بالرغم من أن المقاييس الظاهرية كانت في صفه، فهذا علي ابن الإمام الصادق عليه السلام وكان مقدماً في علمه، ومحترما عند الخاص والعام، وكبير السن، يقدم الحذاء لابن ابن أخيه محمد بن علي عن موسى بن جعفر الصادق (الإمام الجواد) ويمسك له

الركاب، مع أن الإمام الجواد عليه السلام كـان آنئـذٍ في سـن حفيـد عمه علي بن جعفر الصادق، حتى لقد تساءل بعـض مـن رأى ذلك وهو يرى هذا الاحترام منه للإمام الجواد عليه السلام فقال:

ـ ماذا أصنع إن كان الله سبحانه وتعالى قد اختاره للإمامة ولم ير هذه الشيبة أهلاً لذلك؟!.

وضمن هذه القاعدة، فبـالرغم مـن أن قـسماً مـن النـاس كانوا يتوقعون أحد أبناء الأئمة، أن يكون هو الخلـف والقـائم بأمور الإمامة بعد أبيه، لما يمتلكـه مـن فـضل، وتقـوى، إلا أن المسألة كما قلنا لما كانت لا ترتبط بالناس، بل حتى بالإمام، فإن توقعهم هذا بل رغبتهم أحيانا لم تكن تتحقق.

وقد كان أبو جعفر محمد ابن الإمام علي الهادي عليه السلام مـن أولئك الذين ظن الكثير من الناس فيه أنه سيكون الإمـام بعـد والده، لما كان يتميز به من صفات ومميزات في علمـه وفـضله. فقد سألوا الإمام الهـادي عليه السلام عـدة مـرات عـن هـذا الأمـر، وكان الإمام ـ مع إدراكه ومعرفته بشخصية ابنه وفضله ـ يعلـم

أن المسألة ليست ـ في جهة التعيين ـ بيده، بل هي بأمر الله، فكان يشير إلى ابنه الحسن (العسكري) مع أنه كان أصغر سناً من أخيه محمد.

ومن الواضح أن محمداً ـ على جلالته ـ لم يدع الإمامة، ولم ينازعها أهلها كما فعل مثلاً، أخوه جعفر الذي لقب فيما بعد بالكذاب، حينما ادعى الإمامة بعد أخيه الإمام الحسن العسكري، مستغلاً الظرف الذي أتاحه له اختفاء الإمام المنتظر عجل الله فرجه، لكن القاعدة الشعبية لما كانت تعرف مواصفات الإمام، في علمه وسيرته، بحيث يمكن تمييز المدعي بواسطتها، سرعان ما كشفت أمره. وفضح أمام الناس.

وفي أيام الإمام الهادي عليه السلام، مرض ابنه أبو جعفر محمد، وتوفي رحمة الله عليه، وبينما كان المعزّون يدخلون على الإمام الهادي يعزونه بفقدانه ابنه الأكبر، كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد انتحى ناحية يبكي على أخيه الراحل.

السيد عبد العظيم الحسني

«لو زرت عبد العظيم عندكم ـ بالري ـ لكنت كمن زار قبر الحسين عليه السلام »

الإمام الهادي عليه السلام

للغربة مع أهل البيت عليهم السلام ثأر لا ينتهي، لا تتركهم ولا يتركونها!!.

لا تتركهم لأنهم ذوو همم عالية، وقد قضت سنة الزمان أن الهمم والأهداف الكبرى تمر عبر جسر الغربة والناس يطلبونها في الحضر فلا يجدونها.

ولا يتركونها لأنهم ما خلقوا «ليشغلهم أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة أو المرسلة تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها».. إنهم يرون أن هدف حياتهم إعلاء كلمة الله، وإخراج عبد الله من عبادة عباده، ولا يستطيعون تصور معنى لحياتهم غير ذلك.

ولذلك كانت حياتهم سلسلة من التراجيديا المفجعة، والأحزان المتتابعة..

ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر إلا أن هناك عاملاً آخر يزيد هذه التراجيديا فصلاً جديداً، ذلك هو موقف كثير من الناس من أهل البيت عليهم السلام، فإذا كان طبيعياً أن يقف الظالمون موقف الترصد و الارصاد لأهل البيت حتى جعلوا على كل قارعة مأتماً وفي كل بيت عزاء.. فما هو تفسير موقف الآخرين؟!.

لَكثيراً ما ترددت هذه الكلمة على ألسنة العلويين. منذ أن نطقت بها فاطمة الزهراء عليها السلام «أليس المرء يحفظ في ولده»؟! لكن ضياع هؤلاء الذين كان يؤرقهم ضياع سنة رسول الله، وضياع أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان النتيجة الطبيعية لمواقف التخاذل التي كان يتميز بها أكثر الناس آنئذٍ، ولذلك انتشرت مراقد العلويين من نسل الرسول في كل ناحية، وأقل النواحي في ذلك كانت مدينة جدهم، وموطنهم!!.

ولئن طوى هؤلاء خبرهم عن أقرب الناس إليهم، فإن التاريخ أحرى أن لا يقف على خبرهم، لكنك تستطيع أن تتلمس بعض أخبارهم من حال غربتهم وتخفيهم، فهذا أخفى نسبه وشخصيته وعلمه حتى عمل في الأعمال الدانية التي لا تليق بشخصيته ولم يعرف حتى ودع هذه الدنيا غير آسف عليها، و آخر ترى قبره في أعلى جبل وقد مضى هارباً من سلطان عصره.. وهكذا.

فلنكن مع السيد عبد العظيم الحسني (بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط) عليه السلام الذي كان واحداً من هذا السرب المغترب.

روى عن الإمام الرضا عليه السلام وصنف كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب اليوم والليلة. كما كان مختصاً بأبي الحسن الهادي عليه السلام. ولشدة تحرجه في دينه واحتياطه في عقيدته، فقد عرض كل ذلك على إمامه الهادي عليه السلام. ونلفت النظر هنا إلى أن بعض أصحاب الأئمة، سمعوا منهم أحاديث ففهمها بعض وجهلها آخرون (سواء الجهل البسيط أو

المركب) ثم انصرفوا يخبطون في العقائد كحاطب ليل لا يستبين له الهدى ولا يركن إلى اليقين، وساعد على ذلك أن ظروف الأئمة عليهم السلام في الأزمنة المتأخرة لم تكن مناسبة كما ينبغي، فشرق بعض وغرب آخرون.. من غلاة إلى صوفيين إلى مجسمة.

بينما بقي الواعون الورعون الذين كانوا إذا ازدحمت الفتن، وعصفت رياح الشك التجأوا إلى بر الأئمة الآمن.. ومنهم كان السيد عبد العظيم، فقد دخل على الإمام الهادي عليه السلام قائلا:

ـ يا بن رسول الله إني أريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضياً ثبت عليه.

فقال له الإمام: هات يا أبا القاسم..

فقال: إني أقول إن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، خارج عن الحدين، حدّ الإبطال وحدّ التشبيه، وأنه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر بل هو مجسم الأجسام

ومصور الصور وخالق الأعراض والجواهر ورب كل شيء ومالكه وجاعله ومحدثه.

وأن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة وأن شريعته خاتمة الشرائع فلا شريعة بعدها إلى يوم القيامة.

وأقول إن الإمام والخليفة وولي الأمر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم أنت يا مولاي..

فالتفت إليه الإمام قائلاً: ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده؟.

واستفسر عبد العظيم عن الحجة بعده قائلاً: وكيف ذاك يا مولاي؟!.

قال: إنه لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً..

واستطرد السيد عبد العظيم، مبيناً بقية عقائده..

«.. أقررت وأقول إن وليهم ولي الله وعدوّهم عدو الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، وأقول إن المعراج حق، والمسألة في القبر حق وأن الجنة حق والنار حق والصراط حق، والميزان حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.

وأقول إن الفرائض الواجبة بعد الولاية ـ أي الولاية لأهل البيت عليهم السلام ـ الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

فقال له الإمام عليه السلام:

ـ يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

واشتد الطلب أيام المتوكل العباسي ذلك أنه «كان شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم مهتماً بأمورهم شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق

له أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير يسيء الرأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من بني العباس قبله، وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين وعفى آثاره ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلاّ أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة»[١] وتتبع أصحاب أهل البيت عليهم السلام واعتقل بعضهم وقتل البعض، وتوارى الكثير منهم، وانطلق السيد عبد العظيم إلى منطقة الري فسكن عند أحد الشيعة في منزله في سكن الموالي فكان يعبد الله في ذلك المكان يصوم نهاره ويقوم ليله ويخرج مستتراً فيزور قبراً قريباً.

وهكذا كان يقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة أهل البيت في المنطقة ولم يكونوا يعرفونه تماماً، إلاّ القليل منهم ممن كان يعرفه الإمام بشخصية السيد عبد العظيم ممن كان أهلاً لمعرفته، وكتمان سره، فعندما دخل أبو حماد الرازي على الإمام الهادي، فسأله عن أمور مختلفة من قضايا الحلال

---

(١)مقاتل الطالبيين/ ٣٩٥.

والحرام، فلما أجابه عنها، ودعه وقال:

ـ يا حماد إذا أشكل عليك شيء من أمر دينك بناحيتك فسل عنه عبد العظيم الحسني واقرأه مني السلام.

وباستثناء تلك الفئة القليلة الواعية، لم يعرف بقية الناس موقع هذا الرجل العلوي والعالم الهاشمي، الذي استمر فترة من الزمان مختفياً حتى مرض مرضاً شديداً، أخذ من صحته ما أبقته الغربة والبعد عن الوطن والخوف من السلطان، حتى أسلم الروح إلى بارئها.

وجاء أهل الري ليشيعوا جنازة هذا العالم الغريب، وبينما كان ينزع عنه ملابسه لتغسيله، وجدوا في جيبه رقعة كان فيها اسمه ونسبه وحينها أفاق الناس على عظم تقصيرهم في حق أنفسهم وكيف حرموا أنفسهم من التعرض لعلمه والاختلاف إليه، وتقصيرهم في حقه، وشيع تشييعاً ضخماً، وكأن الناس كانوا يريدون التعويض عما فاتهم في حياته بتعظيم تشييعه بعد وفاته.. وهيهات.

وإذا كان السيد عبد العظيم قد جهل قدره أيام حياته حتى مات غريباً (و ضاع) في ديار الغربة، فإن الله سبحانه لا يضيع عنده مثقال حبة من خير، فكيف إذا وهب المرء حياته في سبيل الله؟!.

جواب ذلك ما نجده اليوم حيث لهذا السيد قبر عظيم، ومشهد عامر ولقد أصبحت المنطقة تسمى باسمه ووقفت أراضيها له.

علي بن جعفر الهماني

وجد نفسه في سجن المتوكل العباسي بعـد أن كـان وكـيلا للإمام الهادي عليه السلام.

ومـا أدراك مـا سـجن المتوكـل؟! لكـن يكفيـك قاعـدة ـ عزيـزي القـارئ ـ إن قـصور الحـاكمين كلـما زادت عـدداً وعظمت بناء وزينة، فإن سجونهم تزيد وتسوء.. و إذا كان همّ الحاكم الجديد أن يبني له قصراً صيفياً و آخر شتوياً.. وثالـث.. فإنه لا ينسى عموم الناس من (معروفه) فيزيد عـدد سـجونه، لتستوعب الزيادات الجديدة!.

وهذا النوع من الحاكمين تنشط في قصورهم سوق التملق الكاذب والوشاية السياسية، فالذين لا يتقنون البيع في الـسوق الأولى التي تتطلـب قـدرة عـلى نظـم الـشعر الجيـد، فـإنهم لا يحتاجون إلى كفاءة في السوق الثانية، يكفيهم مقدار ملائـم مـن

قلة الدين وموت الضمير، حتى يؤدوا هذه المهمة، فيحصلون على الثمن.. فلماذا يتعبون أنفسهم في ميدان الحياة، وساحة الكسب الحلال؟! حيث لا تأتي الأرزاق إلا بالجهد والعرق؟ لماذا يتعبون أنفسهم، مادامت هذه السوق قائمة على قدم وساق؟!.

نعم فقد وجد علي بن جعفر الهماني، البغدادي نفسه في السجن على أثر وشاية وصلت إلى قصر المتوكل..

وكانت عادة الحاكمين أن يسلبوا حرية الناس ثم يمنّوا عليهم بإطلاق سراحهم، بمكرمة وهكذا فإن على السجين أن يشكر سجّانه الذي سلبه حريته مدة من الزمن، ويثني عليه!! وأن على الناس أن يتوسلوا إلى الله بإبقاء (طويل العمر) الذي لم يترك السجين طول حياته ـ بل نصفها ـ في المعتقل!!.

مرض المتوكل، وزادت عليه الحمى حتى استبشر ولي عهده، فما هي إلا سويعات حتى يصدر بياناً من قصر الخلافة ينص على موت الخليفة.. فأصدر المتوكل أمرا بإطلاق سراح

المعتقلين، وكان لا بد من توقيعه على كل اسم، وجـاء عبيـد الله بن يحيى بن خاقان فعرض على المتوكل الأسماء وبينها اسم علي بن جعفر، فغضب المتوكل وقال له:

ـ لا تتعبن نفسك بعرض قصة هذا وأشـباهه فـإن عمـك (الفتح بن خاقان) أخبرني أن هذا رافضي وأنه وكيـل عـلي بـن محمد.. ثم أضاف مهدداً:

ـ لو شككت فيك لقلت أنك رافضي!! انـه لا يخـرج مـن الحبس مادمت حياً!!.

إن المكرمـة هـذه لا تنـال أصـحاب العقيـدة ولا سـجناء الرأي الحر، إنما تطال أصحاب الجنايات، والـسارقين، وقطـاع الطرق.. أليس الطيور على أشكالها تقع؟!.

فكتبت إلى مولانا ـ يقول علي بن جعفر ـ:

ـ إن نفسي قد ضاقت وإني أخاف الزيغ! فكتب إليّ:

ـ أما إذا بلغ الأمر منك ما أرى فسأقصد الله فيك.

يتصور الإنسان ذو القدرة الفانية أنه يستطيع ويستطيع، بينما هو في ميزان الكون لا يزيد عن سبب، ويبقى الله مسبب الأسباب القادر على ما يشاء.. وهكذا «فما عادت الجمعة حتى خرجت من السجن»[1].

❋❋❋

خرج علي بن جعفر من السجن بنعمة الله سبحانه، وبقي في سامراء مدة من الزمان، وكانت سامراء تشهد حركة من الغلو تزعمها علي بن حسكة والقاسم اليقطيني، الذين ادّعوا الإلوهية للإمام العسكري!! وأنهم أنبياء!! واسقطوا الفرائض والواجبات!، ولكن الأخطر من هؤلاء كان (فارس بن حاتم القزويني)، الذي كان بعض الشيعة قد عرفوه في البدء على أنه من أصحاب الإمام الهادي، وكانوا يثقون به قبل أن يصدر منه مخاريقه، فتصدر البراءة في حقه، وكان هذا الرجل يتنقل، فتارة هو في سامراء، إذا به في فارس، وفي الكوفة.. وهكذا.

(١) تنقيح المقال ٢/ ٢٧٢.

وأول من تصدى له على أرض الواقع كان علي بن جعفر، فقد أظهر للناس صورته الحقيقية، ولم يكن فارس بالذي يسكت فاستطاع أن يضل عدداً من الناس، وأن يجعلهم في الصف الأول للمواجهة، وهكذا.. كان من الممكن أن تتحول تلك إلى فتنة اجتماعية إلا أن توجيه الإمام العسكري عليه السلام لأتباعه، بضرورة إتباع علي وتجنب فارس، وأد تلك الفتنة في مهدها فقد كتب موسى بن جعفر بن إبراهيم إلى الإمام الهادي عليه السلام: جعلت فداك قبلنا أشياء يحكى عن فارس والخلاف بينه وبين علي بن جعفر حتى صار بعضهم يبرأ من بعض فإن رأيت أن تمن عليّ بما عندك فيهما وأيّهما يتولى حوائجي قبلك، حتى لا أعدوه إلى غيره فقد احتجتُ إلى ذلك، فعلتَ متفضلاً إن شاء الله.

فكتب (إليّ): ليس عن مثل هذا يسأل ولا في مثله يشك، قد عظّم الله قدر علي بن جعفر، أمتعنا الله به، عن أن يقاس إليه، فاقصد علي بن جعفر بحوائجك واجتنبوا فارساً وامتنعوا عن إدخاله في شيء من أموركم أو حوائجكم تفعل ذلك ومن

أطاعك من أهل بلادك، فإنه قد بلغني ما قد تمـوّه (فـارس) بـه على الناس، فلا تلتفتوا إليه إن شاء الله[1].

الجدير ذكره أن الصراع بين الغـلاة وأتبـاع أهـل البيـت لم ينته، ولم يرعوِ أولئك الغـلاة عـن غـيهم، بـالرغم مـن وصـايا الإمام للناس في تجنب مجالستهم واتهامهم، وتشويه سـمعتهم، فقد كانوا يزيدون غيّـاً، إلى أن قـال الإمـام الهـادي عليه السلام: مـن يقتل فارساً وأنا أضمن له الجنة.

وكان لهذه المهمة الجنيد. فقد رأى أن هؤلاء الغلاة لا ينفع معهم سائر مراحل النهي عن المنكر، إذ طبقت معهم ولم تـؤت أكلهـا، فقـد أعـرض عـنهم، وكلـح في وجـوههم، ونـصحوا وهددوا، وضربوا، ولم ينفع ذلك، وأي منكـر أشـد مـن نـسبة الإلوهية لرجل، ثم الادعاء بأنهم أنبياؤه.. وهكذا وبينما فارس خارج في العتمة كمن له الجنيد وطبر رأسـه بـساطور كـان قـد أعده لهذا الغرض.. وأنهى حياته ومنكره.

---

(١) اختيار معرفة الرجال / ٥٢٣

من سامراء خرج علي بن جعفر إلى الكوفة ليقيم بها مدة من الزمان مبلغاً رسالة أهل البيت عليهم السلام، ثم وجهه الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعد شهادة أبيه الهادي عليه السلام إلى مكة، فكان هناك ينفق النفقات العظيمة على المحتاجين من الحجاج وسواهم، ويعرفهم بأفكار أهل البيت عليهم السلام.. مما جعل بعض أصحاب الإمام يتعجب من ذلك، وينكره، فلما انصرف أبو طاهر بن بليل من الحج كتب إلى الإمام العسكري يعرفه ما رأى، فرد عليه الإمام بتوثيق علي بن جعفر وتأييد عمله.

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل

(الكاتب والنديم)

تعرض التشيع في تاريخه ـ ولا يزال ـ إلى الكثير من التهم، كان المقصود منها، إيجاد جو عداء في الأمة تجاه من يعتنق فكـره وبرنامجه، وإشعار الشيعة بالغربة والضعف.

وبالرغم من أن تلك التهم لم تكـن لتـصمد أمـام البحـث العلمي، ولم تكن لتقنع الـواعين مـن غـير الـشيعة فـضلاً عـن الشيعة، إلاّ أن أصحاب التهم تلك كانوا يخـاطبون بهـا العـوام والغوغاء لعجزهم عن التفكير وقدرتهم على التهريج.

ومن تلك التهم: أن التشيع هو مذهب المـوالي والفـرس، فهم الذين صنعوه، وهم الذين ساندوا رجاله، وعلى ضوء هذا يفسرون كثيراً من الأحداث.

والغرض من مثل هـذا الإرجـاف كـان: إحيـاء العـصبية

العربية الجاهلية التي تأبى العيش على صعيد واحد مع غير العرب، لرفض أفكار التشيع وقيم الإسلام، في المساواة والأخوّة بين المسلمين، وللإيحاء بأنه وافد غريب.

ونحن هنا لا ننكر أن التشيع ـ وهو جوهر الإسلام ـ قد خاطب الموالي، والضعفاء، كما خاطب غيرهم، ولامس قلوبهم، ووجدوا فيه ما ينسجم مع وجدانهم، وما يشفي صدورهم من عللها، وينقذ حياتهم من عبثها فآمنوا به والتزموه، ولعمري لو كان في هذا نقص لورد على أكمل الخلق، وسيد البشر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقد عاب عليه (عرب) قريش أنه جمع حوله الموالي والعبيد والغرباء.. وطلبوا ـ كشرط لإسلامهم ـ أن يطرد هؤلاء عن أجوائه فأتاه الخطاب الإلهي ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾

كما أننا لا ننكر أن التشيع ـ وهو جوهر الإسلام ـ لا يرى المفاضلة بين الناس بـ (العظام) من الآباء والأجداد بل يرى المفاضلة بـ (العظام) من المواقف والأفعال والأخلاق.

فقـــد رفـــع الإســـلام ســـلمان فـــارس

وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

بل إن الإسلام يغير مصطلح العربي السابق، فيعتبر حقيقة جديدة فيه، فماذا كان (العربي) ـ قبل الإسلام ـ يعني مـن ولـد لأبوين عربيين، أصبح الآن (كل مسلم عربي).

هذا.. ولكن حتى، لو تنزلنا ومشينا عـلى طـريقتهم، فإننـا سنجد أيـضاً خـواء هـذا الإرجـاف.. إذ أننـا بـالتمعن قلـيلاً، سنجد أن أهل البيت عليهم السلام وأئمة الشيعة هم من الذروة العليـا في العرب فـ (لا يقاس بآل محمد أحد).

وسنجد أن أئمة اللغة العربية، والحافظين لها، والنـاشرين لها كانوا من أتباع أهل البيت عليهم السلام .وما ذلك إلاّ لأن هذه اللغة هي لغة القران، وألفاظ الأحكـام، ولـو ضـعفت أو انـدثرت، فالضرر عائد ـ لا شك ـ على الدين.

فالذي أسـس علـم النحـو، وقواعـد الإعـراب هـو أبـو

الأسود الدؤلي، تعلمه من أمير المؤمنين علي عليه السلام. وبعده كان أبو جعفر محمد بن الحسن الرواسي إمام الكوفيين في النحو، وأول من وضع فيه كتاباً مفصلاً وهو أستاذ الكسائي والفرّاء. وفي طبقته كان الخليل بن أحمد وهو إمام البصريين في النحو، ومؤسس علم العروض، وهو من شيعة أهل البيت عليهم السلام، ومن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كما ذكر العلامة البهائي، ومن طبقة أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام. وهكذا عطاء بن أبي الأسود الدؤلي، ويحيى بن يعمر العدواني وكلاهما تتلمذ على يد أبي الأسود، وكان يحيى تابعياً، عارفاً بالقرآن، والنحو، وله مواقف مشهورة مع الحجاج الثقفي، إذ كان يحدث بفضائل أهل البيت، ومناقب الحسنين. فاستدعاه الحجاج من خراسان، وله معه حوار شهير حول كون الحسنين ابني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنهم حمران بن أعين الشيباني صاحب الإمام الصادق عليه السلام، والفرّاء يحيى بن زياد الأقطع (وسمي أبوه بذلك لأن يده قطعت في وقعة فخ بقيادة الحسين بن علي بن

الحسن المثلث) وهكذا ابن السكيت يعقوب (وقد مرت ترجمته) صاحب كتاب إصلاح المنطق. وهكذا أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن حمدون الكاتب والنديم، وهو أستاذ أبي العباس ثعلب، ومنهم أبو العباس المبرد محمد بن يزيد الأزدي، صاحب كتاب الكامل، وهكذا ابن دريد محمد ابن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجمهرة في اللغة.

وإذا جئت إلى حقل الشعر، تجد أعطر أزاهيره وأجمل وروده، إنما استقت من ينبوع أهل البيت عليهم السلام، كالنابغة الجعدي، والفرزدق، والكميت بن زيد، وكثير عزة، والسيد الحميري، والعبدي سفيان بن مصعب، والخزاعي دعبل، والطائي أبي تمام، وديك الجن، وداود بن القاسم، ومن تأخر من عصور هؤلاء كأبي فراس الحمداني، والمتنبي أبي الطيب، وابن الحجاج البغدادي، والشريفين الرضي والمرتضى[1].. وغيرهم مما يطول المقام والكلام بنا.

---

(١)للاستزادة يراجع تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام/ للسيد حسن الصدر.

ومن هؤلاء ممن عاصر العسكريين الإمام علي الهادي وابنه الحسن عليهما السلام وكان خصيصاً بهما[1] وكبير المنزلة عندهما وروى عنهما. ومع هذا الاختصاص بالإمامين عليهما السلام، كان نديماً للمتوكل العباسي، وجليسه في مجلسه الخاص، ومحدثه حيث كان النديم، آنئذٍ، أشبه بمؤسسة ثقافية لديه من تاريخ العرب والإسلام، والقصص والأحكام، و الطرائف والمِلَح، ما يروّح به عن الحاكم.

ويحتمل العلامة المامقاني في رجاله أن يكون ذلك العمل (منادمة المتوكل) كان برضا الإمام الهادي عليه السلام، إن لم يكن بتوجيهه..

وأرى أن احتمال المامقاني ذلك ليس بعيداً، فكم شهدنا من هؤلاء الرجال ممن هم بأبواب الظلمة لأجل قضاء حوائج العباد، كداود بن زربي، وعلي بن يقطين وأمثالهم وكانوا يستطيعون رصد التوجه الموجود لدى الحاكم، فيخبرون به أئمة أهل البيت، لكي ينجو أتباعهم.

---

(١) رجال النجاشي.

ويؤيد هـذا الأمـر مـا ينقـل مـن أن المتوكـل ربـما أحـس بتوجهات أحمد بن حمدون نديمه، وباختصاصه بالإمام الهادي، خصوصاً مع الرقابة الشديدة المفروضة على الإمام، فتغيّر عـلى نديمه، وأمر بنفيه إلى تكريت، ثم أرسـل حاجبـه زرافـة لكـي يقطع أذن أحمد في منفاه[١]، عقاباً لـه، ولمـاذا الأذن؟! هـل هـي لأجل أنه سمع ما سمع ونقل ذلك إلى الإمـام؟ أم هـو تنكيـل حقد؟!

له من الكتب:

١. أسماء الجبال والمياه والأودية.

٢. كتاب بني مرة بن عوف.

٣. كتاب بني نمر بن قاسط.

٤. كتاب بني عقيل.

٥. كتاب طي.

---

(١) الكنى والألقاب/ الشيخ عباس القمي ٢٧٩.

٦. كتاب شعر العجير السلولي.

٧. كتاب شعر ثابت بن قطنة.

٨. نوادر الإعراب.

سعد بن عبدالله الأشعري

توفي سنة ٣٥٥ هـ

سعد بن عبد الله الأشعري القمي جليل القدر، واسع الأخبار، كثير التصانيف، ثقة[١].

وكان من علماء الطائفة، وخير نموذج لهم، فهو يسمع الأقوال ويتبع أحسنها. ومثال الانفتاح على المذاهب الفقهية والمدارس الفكرية الأخرى. فإذا كانت طريقة المذاهب الأخرى، وضع (فيتو) على فكر من يخالفها، وعدم قبول أشخاصهم، حتى لو كان بمستوى الرواية للخبر، كما فعل مثلاً البخاري في صحيحه حيث لم يقبل روايات الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن جده الرسول بينما قبل رواية مثل

---

(١) الفهرست للطوسي

عمران بن حطان الخارجي، الذي يمدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي عليه السلام، ويمدح ضربته تلك قائلا: بأنه ما أراد بها إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضواناً وينقل عن المذمومين والضعفاء، بل حتى الملعونين بأسمائهم على لسان رسول الله..

وهكذا عندما يأتي الذهبي إلى ترجمة الأعمش سليمان بن مهران، أو الحافظ بن عقدة، أو زرارة بن أعين، يلخص رأيه فيهم من خلال موقفه المذهبي، ومع اعترافه بصدقهم وعدالتهم وضبطهم، إلاّ أنه لا ينسى أن يذيّل ذلك، بما يصيب الحشويين والنواصب بالزكام، فيقول: إنه يترفض!! أو يتشيع..!!.

في المقابل كانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام، تنتهج حتى مع مخالفيها في المذهب والعقيدة، إذا كانوا صادقين وثقاة، على أساس قاعدة «خذوا ما رووا وذروا ما رأوا »، أي انظروا إلى الأحاديث والأخبار التي نقلوها، ولا تقلدوهم في تفسيرهم الخاطىء لها أو لغيرها.. وهذا ـ لَعمري ـ قمة التكامل واحترام

العلم.

أما أن يعيش العالم في شرنقة مذهبية يـصنعها لنفـسه، ولا يحاول الخروج منها حتى للإطلاع على ما حولـه، فهـو الجهـل المركب الذي يهوي بصاحبه إلى دركات الضلال.

إن من مميزات مدرسة أهل البيت أنها تنفتح على كل فكـر ورأي، عن غير خشية على الـذات، لأن الـرأي الجديـد إمـا أن يكون منسجماً مع القيم الدينية والقواعد الأساسية التـي تقـوم عليها هذه المدرسة، فـما المـانع مـن الاسـتفادة منـه؟! وأمـا أن يكون مخالفاً لتلك القيم، فهي تمتلك من قوة الـدليل، وسـلامة الرأي ما يمكنها من مواجهته.. ولـذلك وجـدنا أن الزنادقـة لم ينتهوا بفعل سـيف (صـاحب الزنادقـة) الـذي أنـشأه المهـدي العبـاسي، إذ الـسيف لا يـستطيع القـضاء عـلى الفكـر، حتـى الخاطىء منه، وإنما انتهت حركتهم لما واجهها أئمة أهل البيـت عليهم السلام، وتلاميذهم فكرياً، وعقائدياً، فلم يستطيعوا الوقـوف في الميدان.

ومن النماذج التي مثلت هذا الجانب كان مترجمنا أبو القاسم سعد بن عبد الله القمي، فقد سمع من العامة شيئاً كثيراً، وسافر في طلب الحديث، ولقي وجوه العامة في عصره وأخذ عنهم، وكان شيخ الطائفة وفقيهها ووجهها[1] في قم.

كما أنه يعتبر من الرواة المكثرين عن أهل البيت عليهم السلام، فقد جاء اسمه في عدد كبير من الروايات تبلغ ألفاً ومائة واثنين وأربعين مورداً[2]. هذا فيما يرتبط بالروايات الفقهية والفروع، فضلاً عن الموارد الأخرى الكثيرة في التاريخ، والأخلاق، والعقائد، والقران الكريم. خلّف من الكتب ما أصبح مصدراً للموسوعات الحديثية الموجودة بين أيدينا، فقد نقل العلامة المجلسي في بحار الأنوار، في مواضع كثيرة، مقاطع مفصلة من كتبه فله من الكتب:

١. كتاب الرحمة، ويشتمل على كتاب الطهارة ـ الصلاة ـ

---

(١) رجال النجاشي.
(٢) معجم رجال الحديث / ٨.

الصوم ـ الزكا ة ـ الحج.

٢. كتاب جوامع الحجج.

٣. كتاب الضياء في الإمامة.

٤. كتاب مقالات الإمامية.

٥. كتاب مناقب رواة الحديث ومثالب رواة الحديث.

٦. كتاب فضل قم والكوفة.

٧. كتاب فضل أبي طالب وعبد المطلب وعبد الله (والد النبي).

٨. كتاب بصائر الدرجات (وهو مطبوع ٤ مجلدات).

٩. كتاب المنتخبات.

١٠. كتاب فرق الشيعة.

١١. كتاب الرد على الغلاة.

١٢. كتاب ناسخ القران ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه.

١٣. كتاب فضل الذكر والدعاء.

١٤. كتاب المتعة.

١٥. كتاب قيام الليل.

١٦. كتاب الرد على المجبرة.

١٧. كتاب فضل النبي.

١٨. كتاب الاستطاعة.

١٩. كتاب المزار.

٢٠. كتاب احتجاج الشيعة على زيد بن ثابت في الفرائض.

نساء حول الإمام الهادي عليه السلام

سليل أم الإمام العسكري عليه السلام

مرة ثانية وثالثة تستوقفنا ظاهرة كون أمهات الأئمة عليهم السلام من الجواري أو من يطلق عليهن (أمهات الأولاد)..

وينبغي قبل ذلك أن نشير إلى صورة ذهنية خاطئة، تتبادر إلى ذهن البعض خطأ وهي أن كلمة الجواري أو الإماء تستدعي معنى النساء الزنجيات أو المتهنات بالخدمة أو ذوات المرتبة الاجتماعية الهابطة.. خصوصا مع امتلاء كتب التراث القصصي في المجتمع العربي بهذه الصور، أو بصور المغنيات من الجواري، واللاتي أعددن للذة الجنسية..

هذه الصور نعتقد أنها صور خاطئة ولا تعكس حقيقة الأمر، بل ربما تستبطن مقدارا عظيما من التعالي والكبرياء العربي، الذي يرى أن العرب هم الأفضل وأن من سواهم لا يصلون إلى مستواهم.. وهو نفسه الأمر الذي جعل المجتمع

العربي يتأخر في كثير من المجالات العلمية، لأجل هذه النظـرة المتعالية.. حتى في علوم اللغة العربية وجـدنا فحولهـا هـم مـن غير العرب!!

لـو نظرنـا نظـرة فاحـصة، لوجـدنا أن هـؤلاء الجـواري واللاتي كن يصبحن كذلك على أثر سبيهن في الحـروب، فـيهن طائفة عظيمة من ذوات الأحـساب والأنـساب في مجتمعـاتهم، بل إن هؤلاء هم الأكثر تعرضا للسبي، بـسبب كـونهن عوائـل القادة العـسكريين أو الـسياسيين، فعنـدما تـدور الـدائرة عـلى الجيش، ويقتل الرجال والزعماء، تتحول النساء بصورة طبيعية إلى أسـيرات، وجـوار بالتـالي، ويـصبحن مـن سـهم بعـض المسلمين المقاتلين، أو يجدن طريقهن إلى السوق للبيع!

ولهذا فإن النظرة الدونية إلى كـل جاريـة قـد بيعـت، هـي نظرة استعلائية جاهلة ولا تعبر عن واقع.

وإن الخطوة التي أقـدم عليهـا أئمـة أهـل البيـت عليهم السلام في استنجابهم أولادهم الأئمة من (أمهـات الأولاد) والجـواري، لها أهداف متعددة.

فمنها: لزوم إدماج فئة (الموالي) غير العـرب، في المجتمـع العربي الإسلامي، وكانت الجواري تشكل جزءا غير قليل مـن مجتمع الموالي (غير العرب).

فمن الثابـت عنـد المحللـين الاجتماعيـين أن وجـود فئـة (منعزلة) في مجتمع، وتُعامل فيه باستعلاء، يجعلها بؤرة للنقمـة والتمرد، قابلة للتفجر في أقـرب مناسـبة، وهـذا مـا نـراه أيـام حركـة (صـاحب الـزنج) الـذي اسـتغوى الأرقـاء والمـوالي والطبقات المهمشة والمهـشمة، ومـا أن أعلـن عـصيانه وتمـرده حتى تبعه الآلاف ونقضوا النظـام الاجتماعـي في البـصرة ومـا والاها. وسبوا النساء العربيات[1] حتى لقد كانت المرأة القرشية تباع بحسب ضخامة ساقها كما نقل بعض المؤلفين.

---

(١) عمدة الطالب ـ ابن عنبة ص ٢٩٢: وكان (صاحب الزنج) قاسي القلب ذميم الأفعال وحسبه من ذلك تمكن الزنج من دماء المسلمين ونسائهم وأموالهم: ويحكى أن امرأة علوية أسرها زنجي وكان يسيء إليها فعارضته ذات يوم واشتكت إليه ما يفعل بها الزنجي فقال لها: أطيعي مولاك!!. وقد قيل انه كان خارجي المذهب يرى تكفير من ليس على رأيهم من أهل القبلة.

ومن ذلك: ما ذكره بعضهم من الآثار الصحية الناتجة عن تزاوج الأعراق البعيدة، حيث يرث المولود بين عرقين خلاصة صفات القوة لهما، بخلاف التزاوج بين الأقارب حيث ينتج الضعف البدني[1]، وتتكرس الأمراض الوراثية.

وإذا علمنا أن تلك النساء (الجواري) كن من مجتمعات أخرى، وفي الغالب كن من فئات اجتماعية متميزة كان يكن أقارب القادة العسكريين أو السياسيين فإنه يجتمع إضافة إلى العامل الصحي، العامل النفسي في تكوين المولود.

ومنها: ما يذكر من أن التزاوج بين الشعوب، يساهم في الانتصار على العداوات التي تخلقها الحروب والصراعات السياسية، وهو أمر ملحوظ.

---

(١) يشير إليه بعض ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «اغتربوا حتى لا تضووا» أي لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا، وقد أكد العلم الحديث على هذه الجهات.. ومن الملحوظ في مجتمعنا (القطيف) انتشار مرض السكلسل، وأهم أسباب ذلك هو التزاوج بين الأقارب والمصابين به.

ومنها غير ذلك من الأهداف والغايات التي تتنوع في مساحتها وتأثيرها، على مستوى المجتمع الإسلامي تارة، وعلى مستوى الطفل الذي سوف يتخلق في رحم تلك المرأة ثانيا.

ولهذه الأسباب وغيرها كان أن نكح[1] الإمام الهادي عليه السلام سُليل، وروي أنه قد أثنى عليها وبيّن فضلها فقال: «سليل[2] مسلولة من الآفات والأرجاس والأنجاس»[3].. وذكر أنها من العارفات الصالحات، وولدت الإمام الحسن العسكري في شهر ربيع الأول سنة ٢٣٠ هـ.

---

(١) قال البعض من الفقهاء أن النكاح ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الدائم، والمنقطع، وملك اليمين. ورأى بعضهم أن الزوجية تضاد ملك اليمين وتختلف آثاره عن آثارها، والخلاف ـ فيما نحن فيه ـ لفظي.

(٢) لسان العرب ـ ابن منظور ج ١١ ص ٣٣٩:يقال للإنسان أيضا أول ما تضعه أمه سليل. والسليل والسليلة: المهر والمهرة، وقيل: السليل المهر يولد في غير ماسكة ولا سلى.

(٣) حياة الإمام الحسن العسكري للعلامة الشيخ باقر شريف القرشي، ناقلا عن أعيان الشيعة لآية الله الأمين.

وقد ذكر[1] آية الله السيد الشيرازي قدس سره قولا عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال: «سليل سلت من كل آفة وعاهة، ومن كل رجس ونجاسة، ثم قال: لا تلبثين حتى يعطيك الله عز وجل حجته على خلقه الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا».. ولم يذكر مصدر تلك الكلمات، ولم أعثر أنا على مصدرها. وهي تتحد مع الفقرة السابقة المنقولة أيضا عنه: «سليل مسلولة من الآفات والأرجاس والأنجاس»..

لكن الفقرة الثانية بناء على صدورها، يمكن استفادة أمور:

منها: أن السيدة سليل والدة الإمام العسكري قد بقيت إلى ولادة الإمام الحجة عجل الله فرجه وأن عمرها كان في ذلك الوقت بحدود الخمسة وأربعين عاما تقريبا إذا فرضنا أنها كانت في نكاح الإمام الهادي عليه السلام بملك اليمين وعمرها عشرون عاما.

(١) في كتابه أمهات المعصومين ص٢٩٦

بل يتأكد هذا المعنى من أحاديث أخرى، ففي كمال الـدين نقل الشيخ الصدوق ﭬ ما حاصله أن السيدة سـليل والـدة الإمام عندما توفيت كانت قد أمـرت أن تـدفن في دارهـا، وفي ذلك تأكيد لإرثها مع حفيدها الإمام الحجـة عجـل الله فرجـه من الإمام العسكري (هي زوجته وتنعتـق بوفاتـه، وهـو ابنـه) وقطـع للطريـق عـلى مـدعي المـيراث وهـو جعفـر المعـروف بالكذاب (أخ الإمام العسكري)، فنازع في ذلـك ولم يتيـسر لـه الأمر.

ويستفاد منها أيضا: أن السيدة سليل ربما تكـون قـد رأت حفيدها الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف، بمقتضى القول السابق «لا تلبثين حتى يعطيك الله حجته على خلقه الذي يملأ الأرض..».

هذا ولكن لم أجد ذكرا لهذه السيدة الفاضلة في تعـداد مـن رأى الحجة المنتظـر عجـل الله فرجـه في الفـصل الـذي عقـده العلامة المجلسي ﭬ في الثاني والخمسين من بحار الأنـوار في

ذكر من رأى الحجة.. فهل أنه لم يثبت عنده القول السابق أو لسبب آخر؟

كلثم الكرخية

يتحدث الرجاليون عن كلثم الكرخية بنحو من الاختصار، لا أعلم علّته وجهته، إن لم يكن انعدام المعلومات، خصوصا وأنها راوية من رواة الأحاديث، وفي طبقة أصحاب الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام.

فقد ذكرها شيخ الطائفة الطوسي في كتابه (رجال الطوسي) في باب النساء من أصحاب الإمام الهادي، وتحت رقم متسلسل هو (٥٨١٤) وقال روى عنها عبد الرحمن الشعيري وهو أبو عبد الرحمن أحمد بن داود البغدادي ونقل عنه من تأخر عنه هذا المقدار من التعريف..

وقد ذكرها آية الله الخوئي قدس سره في كتابه (معجم رجال الحديث)[1] فقال ما نصه: «كلثم الكرخية: روى عنها عبد

---

(١) ج ٢٤ ص ٢٢٩

الرحمان الشعيري، وهو أبو عبد الرحمان أحمد بن داود البغدادي، من أصحاب الهادي عليه السلام، رجال الشيخ. وقال البرقي فيمن روى عن أبي الحسن الثالث عليه السلام: كلثم الكرخية، روى عنها أبو عبد الرحمان الشعيري، أبو أحمد بن داود». أقول: الظاهر أن كلمة (أبو) قبل أحمد من غلط النساخ. وقال ابن داود، فصل الكنى من النساء من القسم الاول: «كلثم الكرخية، روى عنها عبد الرحمان الشعيري، وهو أبو عبد الله أحمد بن داود البغدادي». أقول: لا يبعد أن تكون كلمة (أبو عبد الله) محرفة، والصحيح أبو عبد الرحمان.

ولم يذكر لا شيخ الطائفة رحمه الله ولا السيد الخوئي، الروايات التي روتها عن الإمام الهادي عليه السلام، كما أنني بالاستعانة ببرامج البحث في الكتب والموسوعات الحديثية لم أجد مع التتبع، رواية واحدة مروية عنها عن الإمام الهادي..

وكذلك الراوي عنها وهو أحمد بن داود البغدادي أو أبو عبد الرحمن الشعيري، لم أعثر على رواية من طريقه، وعلى أي

حال، فإنها كانت قد روت عن الإمام الهادي عليه السلام وروى عنها أحمد بن داود.

وهذا يفتح لنا نافذة على الحالة الاجتماعية التي كانت سائدة بين المؤمنين والمؤمنات في تلك الأزمنة، حيث كان تبادل العلم بين المؤمنين من الرجال والنساء ليس كما هو في عصرنا حيث يتصور البعض أن كل خروج للمرأة هو فتنة، وكل اختلاط هو موبقة، وأن صوت المرأة عورة محرمة.. فإننا نجد أن الكثير من النساء كن محدثات وراويات، وكان من يتلقى منهن تارة يكون رجلا وأخرى امرأة، فلم يكن النظر إلى المرأة بما هي أنثى تشتهى، أو إلى الرجل بما هو (فحل ضراب)!

وصل الحال بمجتمعنا إلى أن عدّ كل ما يرتبط بالمرأة ـ أي امرأة ـ يدخل في خانة الإثارة حتما، فإذا تكلمت كان ذلك الكلام ريبة وشهوة وإثارة.. إلى آخر القائمة.. هذا مع أننا لا نجد في الأدلة الشرعية ـ بغض النظر عن الحالات الاجتماعية والعادات المتوارثة ـ شيئا مما ذكر: فصوت المرأة ليس بعورة

محرمة مع أن هذه الفكرة منتشرة ومشهورة بين النـاس إلا أنهـا لا نصيب لها من الصحة.

قد قرر علماؤنا[١] هذا الأمر اعتمادا عـلى جملـة مـن الأدلـة، بعدما لم يكن دليل صالح للقول بأنه عورة فلم أعثر عـلى خـبر عن أهل البيت عليهم السلام بهذا النص ولو كان ضعيفا[٢].

---

(١) قال السيد اليزدي رحمه الله في العروة الوثقى: يجوز سلام الأجنبي على الأجنبية وبالعكس على الأقوى إذا لم يكن هناك ريبة أو خوف فتنة، حيث إن صوت المرأة من حيث هو ليس عورة. انتهى.. ولم يعلق على المتن أحد من العلماء مما يعني موافقتهم له. (بالطبع السلام هنا لا يعني المصافحة حتى لا يشتبه الأمر على البعض!)

(٢) نعم قد ورد في كلمات بعض الفقهاء المتقدمين (كالمحقق الحلي في الشرائع) عند الاستدلال على أنه لا يجوز للأعمى سماع صوت المرأة لأنه عورة، وعورض هذا الاستدلال عند المتأخرين بأنه لم يقم دليل على التعليل، وأنه حمل على ما لو كان بتغنج ومسببا للإثارة الشهوانية. والعلامة الحلي في مختلف الشيعة في مسألة أذان المرأة للرجال معلقا على قول شيخ الطائفة في المبسوط أنه لو أذنت المرأة للرجال اعتدوا به وأقاموا، قال الوجه المنع لأن صوتها عورة لكنه قطع في التذكرة بأن التحريم مشروط بصورة التلذذ أو خوف الفتنة. والمحقق الكركي في جامع المقاصد في مسألة الأذان أيضا واستدل كالعلامة.لكنه قيده في ج

١٢ بأنه عورة يحرم استماعه مع خوف الفتنة لا بدونه، واستشكل الشهيد الثاني في المسالك في إطلاق الحكم أو شموله لغير صورة التلذذ (لما في ذلك من الحرج والضرر المنفي، ولعدم دليل صالح عليه، وكون صوتها عورة لا يدل على التحريم مطلقا) واستجود اشتراط تحريم الاستماع بالتلذذ أو خوف الفتنة.

وقال المحقق البحراني في الحدائق: المشهور بين الأصحاب تحريم سماع صوت المرأة الأجنبية، مبصرا كان السامع أو أعمى، وإطلاق كلامهم شامل، لما أوجب السماع، التلذذ والفتنة أم لا، ولا يخلو من إشكال، لما علم من الأخبار المتكاثرة، من كلام النساء مع الأئمة عليهم السلام، وسؤالهن عن الأحكام، بل غير ذلك أيضا، وسيما كلام فاطمة عليها السلام مع الصحابة، كسلمان وأبي ذر والمقداد، وخروجها للمطالبة بميراثها في المسجد من أبي بكر، وحضور جملة من الصحابة يومئذ، وإتيانها بتلك الخطبة الطويلة المتفق على نقلها، بروايات الخاصة والعامة، أشهر من أن ينكر، مع أنها معصومة ومن المعلوم أن خروجها إنما يكون بإذن أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا كله، مما يدفع ما ذكروه نعم لا بأس بتخصيص الحكم، بما إذا أوجب التلذذ والفتنة، وعليه يحمل ما أوهم خلاف ما ذكرناه.

وقال صاحب الجواهر بعد أن تعرض إلى ما ذكره المحقق في متن الشرائع، وغيره من العلماء في أن صوتها على الأعمى والمبصر عورة ولا يجوز لهما استماعه وما يمكن أن يكون دليلا على ذلك، قال: لكن ذلك كله مشكل بالسيرة المستمرة في الأعصار والأمصار من العلماء

كذلك فإن سيرة المعصومين عليهم السلام قاضية بأنهم كانوا

والمتدينين وغيرهم على خلاف ذلك، وبالمتواتر أو المعلوم مما ورد من كلام الزهراء وبناتها عليها وعليهن السلام، ومن مخاطبة النساء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام على وجه لا يمكن إحصاؤه ولا تنزيله على الاضطرار لدين أو دنيا، بل قوله تعالى : ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ دال على خلاف ذلك أيضا، ولعله لذا وغيره صرح جماعة كالكركي والفاضل في المحكي عن تذكرته وغيرهما ممن تأخر عنه كالمجلسي وغيره بالجواز، بل بملاحظة ذلك يحصل للفقيه القطع بالجواز فضلا عن ملاحظة أحوالهم في ذلك الزمان، من كونهم أهل بادية، وتقام المآتم والأعراس وغيرها فيما بينهم، ولا زالت الرجال منهم مختلطة مع النساء في المعاملات والمخاطبات وغيرها. نعم ينبغي للمتدينة منهن اجتناب إسماع الصوت الذي فيه تهييج للسامع وتحسينه وترقيقه حسبما أومأ إليه الله تعالى شأنه بقوله : ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ إلى آخره، كما أنه ينبغي للمتدينين ترك سماع صوت الشابة الذي هو مثار الفتنة حسبما أومأ إليه أمير المؤمنين عليه السلام في تعليم الناس فيما رواه عنه الصدوق قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسلم على النساء ويرددن عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسلم على النساء ويكره أن يسلم على الشابة منهن، ويقول: أتخوف أن يعجبني صوتها فيدخل علي من الإثم أكثر مما أطلب من الأجر.. إلى آخر ما ذكره». وورد أن (النساء عي وعورة فاستروا عيهن بالسكوت واستروا عوراتهن بالبيوت).

يستقبلون النساء السائلات عن المسائل الدينية من غير إنكار منهم عليهن ومن غير ضرورة تلجؤهن مثلما أشارت إليه رواية أبي بصير قال: كنت جالسا عند أبى عبد الله (عليه السلام) إذ دخلت علينا أم خالد التي كان قطعها يوسف بن عمر تستأذن عليه، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أيسرك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم، قال: فأذن لها قال: وأجلسني معه على الطنفسة قال: ثم دخلت فتكلمت فإذا هي امرأة بليغة فسألته.. إلى آخر الحديث[1].

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٠ ص ١٩٧: محمد بن يعقوب، عن الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد، عن الوشاء، عن أبان بن عثمان عن أبي بصير قال .. وليس في السند من يتوقف فيه غير المعلى بن محمد (البصري) فالقوم فيه على رأيين: التضعيف لكلام النجاشي فيه أنه (مضطرب الحديث والمذهب) وقبول روايته كما عليه بعض أساتذتنا حيث أن كلام النجاشي ليس سوى وصف لحديثه لا للراوي، وهو مثل ما نقل عن ابن الغضائري: أنه يعرف حديثه وينكر.. وقد فسرت تلك الكلمات بأن أحاديثه ليست على مستوى واحد من المتانة والقوة والانسجام. كما أنه قد ورد اسمه في رجال تفسير علي بن إبراهيم القمي في القسم الأول على القول بتوثيقهم.

فأنت ترى أن الإمام عليه السلام قد استمع إليها، وعرض على أبي بصير الاستماع إلى حديثها..

كما دلت على سماع أصوات النساء من قبل المعصومين عليهم السلام صحيحة ربعي بن عبد الله عن الصادق عليه السلام «كان رسول الله يسلم ـ أي يلقي التحية ـ على النساء ويرددن عليه وكان أمير المؤمنين يسلم على النساء وكان يكره أن يسلم على الشابة منهن ويقول أتخوف أن يعجبني صوتها فيدخل علي أكثر مما طلبت من الأجر»[1]. والرواية ظاهرة في أن الأمر لم يكن نادرا بل كان كثيرا. وأن أمير المؤمنين عليه السلام قد فرض أنه يوجد أجر في إلقاء السلام عليها، لكن مع (إعجاب) الرجل البادئ بالسلام وتلذذه بجوابها قد يدخل عليه (من الحزازة) أكثر مما طلب من الأجر.. ولا شك أن هذا هو للتعليم وإلفات السامعين أنه لو لزم من السلام واستماع الجواب تلذذ فإنه ينبغي أن يترك.

---

(١) الكافي ٥/ ٥٣٥: محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن ابيه عن حماد بن عيسى عن ربعي

فلو اعترض على الاستدلال بما قامت به الصديقة الزهراء عليها السلام من خطبتها في المسجد بمسمع من الحاضرين، أو ما قامت به العقيلة زينب وبنات الحسين في الكوفة والشام بمحضر من الإمام زين العابدين وعدم اعتراضه من الخطابة أمام الناس.. لو اعترض على ذلك بأن ضرورة نصرة الإسلام تبيح ذلك، فإن الروايات المتقدمة، فيها ما يظهر منه صريحا عدم الاضطرار[1].

كما أشار الفقهاء إلى أن الممنوع من صوت النساء هو (الخضوع في القول) وذلك لما يعقبه من (طمع من في قلبه مرض) فليس استماع صوت النساء مطلقا غير جائز وإنما حصة منه هي التي فيها خضوع في القول وترقيق وإثارة.[2] وأما مجرد خروج صوت المرأة وهي تلقي المحاضرة، أو تحدث وتروي أو تقرأ العزاء بحيث يسمعها الرجال الأجانب ليس

---

(١) هناك روايات أخرى تفيد أنه (لا تبدؤوا النساء بالسلام) و (لا تسلم على المرأة) وقد جمع بينها وبين السابقات في صراحتها بالحمل على الجواز على كراهة، أو أنه لا يسلم عند خوف الفتنة أو التلذذ..

(٢) من قضايا النهضة الحسينية / ج ٣ للمؤلف.

ممنوعا بحد ذاته أو كما يقول العلماء (في نفسه) وإنما لو لزم منه محذور، بأن كان بكيفية مثيرة للشهوات كما قد يكون في الأغاني وأمثالها.

وهذا الذي سبق ينبغي أن يكون مرشدا في التشديد غير المبرر بأدلة شرعية، والذي نراه في مجتمعاتنا.. فكأن الأمر محصورا في أحد طريقين: إما أن تتميع المرأة وتخضع بالقول (فيطمع الذي في قلبه مرض) أو أن تسكت فلا تتحدث. بينما هناك طريق ثالث هو أن تتحدث وتدرّس وأن تنصح و تبني وأن تروي علما، ولكن كل ذلك في إطار احترام الذات واحترام الآخرين.

كلثم الكرخية[1]، نموذج للمرأة التي تتعلم من الإمام وتعلم غيرها امرأة كان المتعلم أو رجلا.

---

(١) قال الحموي في معجم البلدان ج ٤ ص ٤٤٧: الكرخ بالفتح ثم السكون، وخاء معجمة، وما أظنها عربية إنما هي نبطية، وهم يقولون: كرخت الماء وغيره من البقر والغنم إلى موضع كذا جمعته فيه في كل موضع، وكلها بالعراق، ثم تحدث عن كرخ سامراء وكرخ البصرة وكرخ بغداد، وذيل هذا الأخير بقوله: وأهل الكرخ كلهم شيعة إمامية.

فاطمة بنت محمد بن الهيثم

كان الفرح مسيطرا على بيت الإمام علي بن محمد الهـادي، لولادة مولود جديد في هـذا البيـت الـذي آلى العباسـيون عـلى إفنائه، وقتلهم سماً وسجناً وصبراً. وكان من الطبيعي أن ينقـل الخبر إلى والد المولود، فإن ولادة ولد جديد في هذا البيت يعني غالبا وجود عالم يُعتمد عليه، وتشد الركائب إليه..

وسارعت فاطمة بنت محمد بن الهيثم، لتحمل البشارة إلى الإمام عليه السلام ولتأخذ منه هدية البشرى، والخبر الجيد.. لنتركهـا تتحدث:

كنت في دار أبي الحسن علي بن محمـد العـسكري عليه السلام في الوقت الذي ولد فيه جعفر فرأيـت أهـل الـدار قـد سُروا بـه، فصرت إلى أبي الحسن عليه السلام فلم أره مسرورا بذلك.

فقلت له: يا سيدي مالي أراك غير مسرور بهذا المولود؟

فقال عليه السلام: يهون عليك أمره، فانه سيضل خلقا كثيرا.

وكان في ذلك الخبر المستقبلي للإمام عليه السلام قراءة مفصلة عن طريقة حياة وممارسات جعفر ابنه الذي عرف فيما بعد باسم (جعفر الكذاب). وحيث أن الموضوع يكتسب أهمية قصوى، من خلال دروسه التربوية، وجهته التاريخية إذ يرى البعض أنه تاب بعد ذلك، وسموه بـ (جعفر التواب)، سوف نتعرض بنحو من البسط لهذا الموضوع.

وفي البداية نشير إلى أن القرآن الكريم قد تطرق في آيات كثيرة إلى دروس ترتبط بنمط العلاقة بين الوالد والولد، وعموما بين الأقارب، ويتبين من ملاحظتها ما يلي:

١. أن القرابة ليست عاملا حتميا في صلاح أحد، مهما كان المتقرب به، ومهما كانت درجة تلك القرابة.. فقد يكون المتقرب به نبيا ويكون القريب كافرا كما هو الحال في قضية نوح وابنه[1]، وهكذا نوع العلاقة سواء كانت نسبية كما ذكر أو سببية

(١)﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا

(زواج) كما في امرأة نوح وامرأة لـوط[١].. نعـم المتوقـع هـو أن يصلح هذا القريب وأن يتـأثر إيجابيـا بطريـق مـن يتقـرب بـه، حيث أن الظروف تكون بالنسبة له أفضل من غيره، ولهذا ربـما كان عقابه أكثر[٢] مع الانحراف كما أنه مع الاستجابة يكـون لـه فضل مضاعف.

٢. إنه لا يعيب الصالحَ (نبيا كان أو إماما أو من عامة الناس) أن يكون ابنه طالحـا بـل كـافرا..كـما أنـه لا يـضره ـ في ميـزان الثواب والعقاب ـ أن يكون أبوه[٣] كذلك، وذلك لأنه ﴿يُخْرِجُ

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود:٤٦)

(١)﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم:١٠)

(٢)﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً *وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾ (الأحزاب: ٣٠ ـ ٣١)

(٣) هذا لا ينافي ما يعتقد من كون آباء الأنبياء ـ لا سيما نبينا محمدا ﷺ ـ موحدين.

الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[١]. ولهذا نحن لا نحتاج ـ كما يفعل بعضهم ـ إلى تجشم عناء الدفاع عن ابن نوح أو أبناء يعقوب في أول أمرهم أو عن جعفر الكذاب، ونثبت لهذا أو ذاك توبة لم تثبت! فلا يضير النبي أو الإمام أن يكون ابنه سيئا! بل ربما كان ذلك من جملة الامتحانات التي يتعرض لها المؤمن فينبغي أن يعرف كيف يتعامل معه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٢].

٣/ إن الموقف تجاه المنحرف القريب ينبغي أن يكون خاضعا للمقاييس الدينية، ولعل إيراد قصص الزوجات المخالفات للأنبياء، والأبناء المنحرفين عن الهدى هو من أجل تشكيل الموقف الصحيح لدى المؤمن لو ابتلي بذلك، فأنت ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَّ

(١)سورة الروم آية ١٩

(٢)سورة التغابن آية ١٤.

وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمان وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

وهذه ليست دعوة للحرب في ساحة العائلات، فقد أمر الله في موضع آخر بالمعاشرة الحسنة ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٢].

وجعفر المعروف بالكذاب كان نموذجا للانحراف في الأسرة العلوية، وقد تم التحذير منه قبل ولادته، وفي هذا الإخبار مع تحققه دلالة على اتصال أئمة أهل البيت عليهم السلام

---

(١)سورة المجادلة آية ٢٢.

(٢)سورة لقمان آية ١٥

بالغيب وإخبار الله لهم بذلك، فقد ورد في باب علة تسمية الإمام جعفر بن محمد بالصادق عليه السلام أن هناك شخصا آخر سيسمى جعفر وهو الكذاب،: فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن أبي خالد الكابلي أنه سأل الإمام زين العابدين عليه السلام : قلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: أن الأرض لا تخلو من حجة لله عز وجل على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: ابني محمد، واسمه في التوراة باقر، يبقر العلم بقرا، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر، واسمه عند أهل السماء الصادق، فقلت له: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون، قال: حدثني أبي، عن أبيه عليهما السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فسموه الصادق، فإن للخامس من ولده ولدا اسمه جعفر يدعي الإمامة اجتراءً على الله وكذبا عليه فهو عند الله جعفر الكذاب المفتري على الله عز وجل، والمدعي لما ليس له بأهل، المخالف على

أبيه والحاسد لأخيه، ذلك الذي يروم كشف ستر الله عند غيبة ولي الله ﷻ، ثم بكى علي بن الحسين عليهما السلام بكاء شديدا، ثم قال: كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيب في حفظ الله والتوكيل بحرم أبيه جهلا منه بولادته، وحرصا منه على قتله إن ظفر به، طمعا في ميراثه حتى يأخذه بغير حقه. قال أبو خالد: فقلت له: يا ابن رسول الله وإن ذلك لكائن، فقال: إي وربي إن ذلك لمكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

فأنت ترى أن الرسول قد أخبر عنه كما في الرواية، وأمير المؤمنين وزين العابدين وهذا قبل ولادته بأكثر من قرنين[2].

وكانت فترة شبابه قد اشتهر فيها بالفساد والانحراف، عند من يعرفه من الناس وإلى ذلك يشير ما ورد في التوقيع

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة ص ٣١٩.

(٢) كانت ولادة جعفر حوالي سنة ٢٣٦ هـ.

المروي عن صاحب الزمان عجل الله فرجه كما ذكره شيخ الطائفة الطوسي بسنده قال:

حدثنا الشيخ الصدوق أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري رحمه الله، أنه جاءه بعض أصحابنا يعلمه أن جعفر بن علي كتب إليه كتابا يعرفه فيه نفسه، ويعلمه أنه القيم بعد أخيه، وأن عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه، وغير ذلك من العلوم كلها. (قال أحمد بن إسحاق) فلما قرأت الكتاب كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام وصيرت كتاب جعفر في درجه، فخرج الجواب إلي في ذلك: «بسم الله الرحمن الرحيم أتاني كتابك أبقاك الله، والكتاب الذي أنفذته درجه وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمنه على اختلاف ألفاظه، وتكرر الخطأ فيه... إلى أن قال : وقد ادعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما ادعاه، فلا أدري بأية حالة هي له رجاء أن يتم دعواه، أبفقه في دين الله؟ فو الله ما يعرف حلالا من حرام ولا يفرق بين خطأ وصواب، أم بعلم؟ فما يعلم حقا من باطل، ولا

محكما من متشابه، ولا يعرف حد الصلاة ووقتها. أم بورع؟ فالله شهيد على تركه الصلاة الفرض أربعين يوما، يزعم ذلك لطلب الشعوذة، ولعل خبره قد تأدى إليكم، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة، وآثار عصيانه لله ﷻ مشهورة قائمة. أم بآية؟ فليأت بها، أم بحجة. فليقمها، أم بدلالة فليذكرها..»[1].

وكان رجال السلطة يعرفون منه ذلك أيضا ويستفيدون منه لمصالحهم، ويوصف في مجالسهم بالتهتك والفساد، كما ذكره أحمد بن عبيد الله بن خاقان، في مجلسه، فقد كان يتحدث بالإكبار والإعجاب عن الإمام الحسن العسكري:

فقال له بعض أهل المجلس من الأشعريين: يا أبا بكر فما خبر أخيه جعفر؟

فقال: ومن جعفر فيسأل عن خبره أو يقرن به، إن جعفرا معلن بالفسق، ماجن، شريب للخمور، وأقل من رأيته من الرجال وأهتكهم لستره، فدمٌ (أي أحمق عيي) خمار، قليل في

---

(١) الغيبة ٢٧٨.

نفسه، خفيف، والله لقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن علي ما تعجبت منه وما ظننت أنه يكون[١].. ثم ذكر خبر إغارته مع جنود الخليفة على بيت أخيه، ومحاولته القبض على ابن أخيه الإمام المنتظر، وتفتيش جواري أخيه، وتوكيل نساء بمراقبتهن..

بل لقد ورد أنه باع واحدة من الهاشميات على أنها أمة وجارية[٢]!! وذلك بعد أن فرت عدة جوارٍ خوفا منه!!

ثم لم يكتف بذلك بل حاول الاستعانة بالسلطة لجعله (إماما)!! على الناس، وحيث رأت السلطة أنه لا يمكن ذلك لشهرته السيئة لم تستجب له، فقد حمل جعفر الكذاب إلى

(١) كمال الدين وتمام النعمة- الشيخ الصدوق ص ٤٢.
(٢) شرح أصول الكافي ـ المولى محمد صالح المازندراني ج ٧ ص ٣٥٥: ـ علي بن محمد قال: باع جعفر فيمن باع صبية جعفرية كانت في الدار يربونها، فبعث بعض العلويين وأعلم المشتري خبرها فقال المشترى: قد طابت نفسي بردها وأن لا أرزأ من ثمنها شيئا، فخذها، فذهب العلوي فأعلم أهل الناحية الخبر فبعثوا إلى المشترى بأحد وأربعين دينارا وأمروه بدفعها إلى صاحبها..

الخليفة عشرين ألف دينار لما توفي الحسن بن علي عليهما السلام وقال: يا أمير المؤمنين تجعل لي مرتبة أخي الحسن ومنزلته!.

فقال الخليفة: اعلم أن منزلة أخيك لم تكن بنا إنما كانت بالله عز وجل ونحن كنا نجتهد في حط منزلته والوضع منه، وكان الله عز وجل يأبى إلا أن يزيده كل يوم رفعة لما كان فيه من الصيانة وحسن السمت والعلم والعبادة، فان كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم بمنزلته ولم يكن فيك ما كان في أخيك لم نغن عنك في ذلك شيئا[1].

ولهذا لا يمكن أن يُصغى إلى ما قيل من توبته، فلا شاهد عليها فضلا عن الدليل وما تمحله بعضهم من أن هناك تصريحا بتوبته قد رواه الكليني في الكافي فهو على ضد التوبة أدل وأصرح.. ولولا خوف الإطالة، وقد طال بنا المقام لبسطنا الكلام، لكن على سبيل الاختصار نقول: أنه ذكر بعضهم أن الإمام الحجة عجل الله فرجه قد صدر منه توقيع جاء فيه:

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة- الشيخ الصدوق ص ٤٧٩.

أما سألت عنه أرشدك الله وثبتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا، فاعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح عليه السلام. أما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام[1].

وقد استفاد بعضهم من ذلك أنه قد غفر له، وأنه قد تاب كما تاب إخوة يوسف وأنه لا تثريب عليه كما لم يكن عليهم تثريب!!

لكن هذا المعنى لا يستفاد أبدا فإن بداية الحديث والقاعدة التي جعلها في المقدمة أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة لا تنسجم مع هذا.. وقوله أما سبيل عمي وولده، فهو تفسير لما جرى وأن جعفرا قد حمله الحسد على الإضرار بابن أخيه كما حمل إخوة يوسف.

على أنه في موارد أخرى تم تشبيه جعفر بالنسبة لأبيه الهادي كنسبة ابن نوح لأبيه، وبالنسبة للإمام الحجة بأنه مثل

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة- الشيخ الصدوق ص ٤٨٣.

قابيل لهابيل، وأنه لو استطاع أن يقتل الإمام لم يتوقف[1].

ووصفه الإمام زين العابدين عليه السلام بما يوضح نمط العلاقة بينه وبين أبيه وأخيه وابن أخيه عندما قال: «المخالف على أبيه والحاسد لأخيه» وهذه توضح معنى سبيل إخوة يوسف حيث حسدوه وكادوا له.. ويؤيده بعد ذلك قوله عليه السلام «. حرصا منه على قتله»!! ولا شك أن هذا الحرص كان مستمرا مادام الحجة موجودا وإلى أن مات جعفر في سنة ٢٨١هـ.

وفيصل القول ما نقلته فاطمة بنت الحسن بن الهيثم، عندما رأت الإمام الهادي عليه السلام غير مسرور بولادته مع أن الاستبشار في ذلك الموضع هو الطبيعي، فسألته فلخص لها، أن أمره هين ولا يستحق الفرح والسرور، بل سيضل به خلق كثير ممن لم يعرف سبيل الإمامة!!

---

(١) مدينة المعاجز ٨/ ١٣٤.

فاطمة بنت هارون بن موسى بن الفرات

تميز شيعة أهل البيت عليهم السلام بأنهم قد بدؤوا في تدوين الأحاديث والروايات منذ وقت مبكر، خلافا لغيرهم من الفرق والطوائف الإسلامية الذين امتنعوا عن الكتابة والتدوين بناء على النهي الصادر من الخلافة الرسمية.

بل ذكر بعض المحققين أن الأمر بدأ مع الخليفة الأول حيث كتب خمسمائة حديث عن رسول الله ثم أحرقها، وفعل نفس الفعل الخليفة الثاني عندما بدا له أن يكتب السنة ثم تغير رأيه، وكتب في الأمصار أن من كان عنده شيء منها فليمحه[1]! ثم إنه بلغه أنه قد ظهر في أيدي الناس كتب، فاستنكرها وكرهها، وقال: أيها الناس، إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد

(١) تدوين السنة الشريفة السيد محمد رضا الجلالي.

عنده كتابا إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي. قال: فظنوا أنه يريد ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم، فأحرقها بالنار[١].

ولهذا فقد ترك غالب صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر التدوين والكتابة للحديث النبوي، وانصرفوا عنها، ولعل أول المحاولات الرسمية التي سجلت في تدوين السنة النبوية الشريفة، هي في أيام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز.

في الطرف المقابل كان شيعة أهل البيت وبتوجيه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمتهم عليهم السلام يصرون على كتابة الحديث، ويدونونه:

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قيدوا العلم بالكتاب.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: قيدوا العلم، قيل: وما تقييده؟ قال: كتابته

وأيضا عنه صلى الله عليه وآله وسلم: اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء، وإنما ذهاب العلم بموت العلماء.

(١) المصدر ص٢٧٤.

وعن الإمام الحسن عليه السلام: ـ لما دعا بنيه وبني أخيه ـ: إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: اكتبوا فإنكم لا تحفظون إلا بالكتاب

وعنه عليه السلام ـ لأبي بصير ـ: دخل علي أناس من أهل البصرة فسألوني عن أحاديث وكتبوها، فما يمنعكم من الكتاب؟!. أما إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا.

وعنه عليه السلام: القلب يتكل على الكتابة.

كما كان هناك ترغيب وحث على التأليف والكتابة، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة سترا فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: من كتب عني علما أو حديثا لم يزل يكتب له

الأجر ما بقي ذلك العلم[١]. ونظرا لهذا كان اهتمام شيعة آل البيت عليهم السلام بالتأليف والتصنيف والكتابة، وازداد الأمر في أيام الصادقين عليهما السلام، حيث انبعث تلامذتهما للكتابة والتدوين لكل ما سمعوه منهما من علم ومعرفة.

وقام بعض أولئك المؤلفين بعرض إنتاجهم التأليفي على الأئمة عليهم السلام، الذين أمضوا ما ألفه أولئك وأثنوا على خطواتهم في حفظ العلم والمعرفة.

ومن هؤلاء عبيد الله الحلبي الذي ألف كتابا عده بعض الرجاليين أول كتاب صنفه الشيعة، وعرضه على أبي عبدالله عليه السلام، فصححه وقال ـ عند قراءته ـ : أترى لهؤلاء مثل هذا ؟ أي هل يوجد عند غير الشيعة مثله؟ وهو يدل على منزلة الكتاب وصاحبه عند الإمام عليه السلام. وقد كان كتاب الحلبي مشهورا، حتى كان غيره يُعرَّف به، فقد نجد في ترجمة محمد بن عبد الله الصفار في رجال النجاشي أن له نسخة كتاب تشبه كتاب الحلبي؛ مبوبة كبيرة.

---

(١) ميزان الحكمة ـ محمدي الريشهري ج ٣ ص ٢٦٦٣.

ثم تمت رعاية تلك الكتب والأصول، وتناقلها يدا بيد مع رواية اللاحق عن السابق، ومقابلتها مع ما قاله الراوي السابق. واجتمعت تلك الأصول في فترة متأخرة ـ باسم الأصول الأربعمائة ـ في يد المحدثين الكبار أصحاب الموسوعات الحديثية، وكانت قد وصلت إليهم في الغالب بطرق معتبرة، وقام هؤلاء بتنظيمها وتبويبها على أساس المواضيع غالبا، فقلت الحاجة إلى تلك الأصول، وتم التخلي عنها، مع أنها كانت موجودة ـ أو أكثرها ـ إلى وقت متأخر[1]..

---

(١) مما يشير إلى كون كتاب الحلبي مشهورا أيام الشريف المرتضى ﭬ (المتوفى سنة ٤٣٦ هـ) ما ورد في كتابه: رسائل المرتضى ج ١ ص ٢٧٩: مسألة رابعة عشر (السؤال عن الرجوع إلى الكتب الثلاثة) ما يشكل علينا من الفقه نأخذه من رسالة علي بن موسى بن بابويه القمي، أو من كتاب الشلمغاني، أو من كتاب عبيد الله الحلبي؟ الجواب: الرجوع إلى كتاب ابن بابويه وإلى كتاب الحلبي أولى من الرجوع إلى كتاب الشلمغاني على كل حال. كما أنه قد ذكر صاحب الوسائل ﭬ أن الصدوق صرح في أكثر من موضع عن أن كتاب عبيد الله بن علي الحلبي كان موجودا عنده.

وممن روى كتاب عبيد الله بن علي الحلبي، المرأة الفاضلة فاطمة بنت هارون بن موسى بن الفرات التي روت الكتاب عن جدها موسى بن الفرات، والذي روى الكتاب بدوره عن محمد بن أبي عمير، وقد ذكر الشيخ الطوسي ذلك في رجاله: في ترجمة فاطمة بنت هارون في باب النساء، وعدها فيمن لم يرو عنهم عليهم السلام.

وهي وإن لم تروِ عنهم مباشرة إلا أنها بروايتها لكتاب الحلبي المذكور دخلت في جملة الرواة الحافظين لتراث الأئمة عليهم السلام.

ومع الأسف أنا لا نجد ترجمة كافية لهذه المرأة الفاضلة إلا أن روايتها للكتاب المذكور عن جدها يبين جانبا من اهتماماتها وتوجهاتها..

جدير بالذكر أن والدها هارون بن موسى بن الفرات كان له مكاتبة مع وكيل صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه، كما كان قد طلب ـ في رسالة للإمام المنتظر الدعاء في فكاك ابني

أخيه، وكانا معتقلين لدى أجهزة الدولة. فكتب بأصـابعه عـلى ورق ـ من دون أن يكون هناك دواة أو ما يكتب بـه ـ في ذلـك، فجاءه الجواب بإسمهما وأنه عليه السلام يدعو لهما!!

أمامة بنت محمد بن علي الجواد

تآخى العناء والغربة مع حياة أهل البيت عليهم السلام منذ أن اختار هؤلاء نصرة دين الله تعالى، ومنذ أن أجاب أمير المؤمنين عليه السلام نداء رسول الله في يوم الدار: أيكم يؤازرني على هذا الأمر؟ فلبى الوصي نداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعندها كان ينبغي أن يدفع ـ وولده ـ ثمن ذلك..

ونقدوا الرسالةَ والشريعة ثمن ذلك، وأعطوا من أنفسهم ما بخل به غيرهم!! ولم يخلُ زمانٌ من صور (الشهادة) على ذلك العطاء السخي.

بعض تلك الصور هي لوحات دماء قانية لونت أراضي المعارك، بدءا من بدر وأحد ومرورا بكربلاء وباخمرى وفخ[1]،

---

(١) كربلاء في العراق أرض الشهادة التي حدثت فيها المواجهة بين جيش يزيد بن معاوية وأصحاب الحسين بقيادته واستشهدوا فيها، وفخ

وبعضها كان بلـون الحديـد الـذي صـدئ عـلى سـيقان وأذرع العلويين، ولم تصدأ عزائمهم!!

وتشظت مقابرهم تباعـدا وافتراقـا، بعـدما (شـطت بهـم غربة النوى)، فتلك (مشاهدهم) شاهدة على حالهم مع الغربة، والغربة معهم! فهاهم:

بعض بطيبة مدفون وبعضهـــم
بكــربلاء وبعــض بالغريـــين
وأرض طوس وسامرا وقد ضمنت
بغــداد بــدرين حــلاّ وســط قــبرين

وبقدر ما كان ذلك الثمن البـاهظ مكلفـا ومجهـدا، كـان

قرب المدينة المنورة فيها حصلت المواجهة بين الجيش العباسي أيام الهادي العباسي والحسين بن علي شهيد فخ. وباخمرى قرب الكوفة في العراق كانت فيها المواجهة بين جيش المنصور العباسي والثوار الحسنيين بقيادة إبراهيم بن عبدالله بن الحسن.

نافعا ومفيدا، فقد أنبت هؤلاء في كل أرض وصلوها غراس معرفة وجهاد، وغرسوا في كل بقعة بذور رسالة ونشاط، حتى ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1].

فكان أن صارت قم، تلك القرية البعيدة عن المعرفة والعلم، والتي لا ماؤها يحلو ولا هواؤها، وليس لها من مقومات البلد المهم شيء يذكر.. صارت قبلة الراغبين في العلم والمعرفة، وملقى عصا الترحال لجموع الأشعريين اليمانيين الذين أتعبهم التطواف بحثا عن ما يستقر به النوى..

كانت هجرة ـ بل هجرات أهل البيت عليهم السلام ـ رجالا ونساء، تلك الهجرات القسرية منها ـ وما أكثرها ـ والاختيارية، بوابة فتوح علمية، وانتصارات دعوية ورسالية، وتحولت أماكن من عداء أهل البيت عليهم السلام إلى موالية لهم، وشعوب من منحرفة عنهم إلى منحرفة إليهم!!

إن الغزو ـ كل الغزو ـ ليس في أن تحمل السلاح، وتحتل أرضا حتى إذا غابت عنها سلطة السلاح عادت إلى ما كانت

(١)سورة الحج آية ٥.

عليه، أو بقيت على ما اعتادت عليه حين تأمن حد السيف.. ولكن الغزو هو في تغيير الثقافات، وتبديل الأنماط السلوكية، وإحلال قيم جديدة في المجتمع يتربى عليها الجيل بالتدريج، حتى يمسي بصبغة جديدة، ويحمل أهدافا متميزة..

لقد كانت مرة من المرات القليلة التي نظر فيها هارون الرشيد إلى الواقع بعين الفاحص الصادق، فقال مبينا هذه الحقيقة: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر![1].. بينما كان أئمة أهل البيت، أئمة القلوب والضمائر.

وهكذا تحولت بليدة قم، إلى موضع للموالين لأهل البيت عليهم السلام، ومحل لتلقي علوم محمد وآل محمد، وهكذا احتضنت رفات الذين هاجروا إليها وعاشوا فيها حتى صارت (قم المقدسة) (عش آل محمد)!

كان ممن انتقلوا إلى (قم) عدد من أولاد الإمام الجواد عليه السلام، كان منهم زينب بانية المشهد المعصومي، ومجددة

(١) عيون أخبار الرضا ٢/ ٨٦.

عمارته.. وكانت أختها أيضا أمامة.

وثمة أمر يستوقف الناظر للتأمل قليلا، وهو أن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام والذي لم يرزق بنسل من أم الفضل بنت المأمون مع حرصها وحرص المأمون على ذلك بينما رزق من غيرها الولد والبنات.. وفي هذا مجال عبرة لمعتبر..

الإمام الجواد رزق بعدة من البنات، وكل واحدة من تلكم البنات كانت في مستوى عظيم من الإنتاج والشخصية المتميزة.. فلو تتبعت شخصية السيدة حكيمة ابنته والتي سيأتي الحديث عنها، ورأيت هذه الشخصية الفاضلة علما، والمدبرة للأمور في وقت كانت السلطة العباسية تسعى ـ جهدها ـ لاستئصال الوضع الشيعي.

أو تتبعت حياة بانية المشهد، ومجددته بعدما كاد يندثر أو يضيق بأهله، وقد ذكرنا عنها شيئا مختصرا..

أو هذه المرأة الصالحة التي هاجرت إلى تلك الديار لكي تبدأ فيها مشوار التعليم ونشر الفكر الإمامي. لوجدت من العظمة لوحات قد رسمتها أنامل تلك السيدات الطاهرات،

وأن المجد لم يكن (ذكوريا) فقط.

أمامة (أو ميمونة) والأول هو الأكثر، واحدة من نساء أهل البيت الذين اقترنوا مع الغربة، امرأة هاجرت بدينها، ولدينها وختمت حياتها في أرض قم التي صارت بوجود هذه المراقد والقبور (مقدسة).

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. ابن الأثير: محمد بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، در صادر، بيروت.
٣. ابن النديم: محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق رضا تجدد.
٤. ابن سعد: محمد الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.
٥. ابن شهرآشوب: رشيد الدين أبوعبدالله، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب.
٦. ابن عنبة: أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تصحيح محمد حسن آل الطالقاني، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ، المطبعة الحيدرية، النجف.
٧. ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨. أبوفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، دار الكتاب، قم.
٩. البحراني: السيد هاشم بن سليمان، مدينة المعاجز، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية.
١٠. الجلالي: السيد محمد رضا، تدوين السنة الشريفة، الطبعة الأولى، جماعة المدرسين، قم.

١١. الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، بيروت.
١٢. الحموي: ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٣. الخوئي: أبوالقاسم، معجم رجال الحديث، منشورات مدينة العلم، قم.
١٤. الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة، الطبعةالأولى ١٤٠٥هـ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم.
١٥. الشاكري: الحاج حسين، الإمام علي بن موسى الرضا.
١٦. الصدر: السيد حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، شركة النشر والطباعة ـ بغداد.
١٧. الصدوق: محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
١٨. الصدوق: محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، جامعة المدرسيين ـ قم.
١٩. الطوسي: محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، تحقيق مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٤هـ.
٢٠. الطوسي: محمد بن الحسن، الغيبة، تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.
٢١. الطوسي: محمد بن الحسن، رجال الطوسي، جماعة المدرسين، قم.
٢٢. فوزي: محمد، من قضايا النهضة الحسينية، دار محبي الحسين، قم.
٢٣. القرشي: باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، قم.

٢٤. القرشي: باقر شريف، حياة الإمام الهادي عليه السلام، قم.
٢٥. القزويني: السيد الحسيني، موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، قم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٢٦. القمي: عباس، الكنى والألقاب.
٢٧. القمي: عباس، سفينة البحار، مكتبة السنائي، قم.
٢٨. الكليني: الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، قم.
٢٩. المازندراني: المولى محمد صالح، شرح أصول الكافي.
٣٠. المامقاني: عبدالله، تنقيح المقال، المكتبة المرتضوية، النجف.
٣١. المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء، بيروت.
٣٢. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر.
٣٣. النجاشي: أحمد بن علي، رجال النجاشي، جماعة المدرسين، قم.
٣٤. النقوي: السيد حامد حسين، خلاصة عبقات الأنوار، مؤسسة البعثة، قم ١٤٠٦هـ.

المحتويات

للمؤلف

١. طلب العلم فريضة.

٢. الهجرة مستقبل أفضل.

٣. حجر بن عدي الثائر الشهيد.

٤. مفهوم التقية في الإسلام.

٥. عن الجهاد والثورة عند أهل البيت.

٦. بناء القادة في منهج أهل البيت.

٧. الحياة الشخصية عند أهل البيت.

٨. نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية.

٩. التشكيك.. كيف واجهه أهل البيت.

١٠. رجال حول أهل البيت (جزءان).

١١. نساء حول أهل البيت.

١٢. من قضايا النهضة الحسينية (١ـ ٣).

١٣. في رحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١٤. في رحاب الإمام علي عليه السلام.

١٥. في رحاب الإمام الحسن عليه السلام.

١٦. في رحاب الإمام الحسين عليه السلام.

١٧. في رحاب الإمامين السجاد والباقر عليهما السلام.

١٨. تأملات في آيات الظهور.

لاقتراحاتكم وآرائكم يمكن الاتصال بالمؤلف

www.al-saif.net

fawzialsaif@hotmail.com